وقال البغوي: (أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى كنعان (قال أبوهم) أي: قال يعقوب لولد ولده (إني لأجد ريح يوسف)، روي أن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير).

ويقول القرطبي: قوله تعالى: ولما فصلت العير أي خرجت منطلقة من مصر إلى الشام، يقال: فصل فصولاً، وفصلته فصلاً، فهو لازم ومتعد.

قال أبوهم أي قال لمن حضر من قرابته ممن لم يخرج إلى مصر وهم ولد ولده، إني لأجد ريح يوسف وقد يحتمل أن يكون خرج بعض بنيه، فقال لمن بقي: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون. قال ابن عباس: هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إليه، وبينهما مسيرة ثمان ليال. وقال الحسن: مسيرة عشر ليال ; وعنه أيضا مسيرة شهر. وقال مالك بن أنس - رضي الله عنه -: إنما أوصل ريحه من أوصل عرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان - عليه السلام - طرفه. وقال مجاهد: هبت ريح فصفقت القميص فراحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فعند ذلك قال: «إني لأجد» أي أشم ; فهو وجود بحاسة الشم[1].

وقال الرازي: قال يوسف (اذهبوا بقميصي هذا)، إن هذا القميص ليس قميصاً عادياً فهو القميص نفسه الذي ألبسه جبريل عليه السلام لنبي الله ابراهيم عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام عندما القاه النمرود في النار فهو قميص من الجنة، توارثه الانبياء فقد كسا نبي الله ابراهيم ذلك القميص إسحق وكساه إسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف، فكان إختيار يوسف لهذا القميص نابعاً عن علمه ودرايته بأن لهذا القميص

(١) ينظر: الجامع لأحكام القران: القرطبي ،٩/ ٢٧٧.

خصوصية، وأن هذا القميص من الجنة[1].

وقال سيد قطب: (كل شيء إلا هذا. فما يخطر على بال أحد أن يوسف بعد في الأحياء، بعد هذا الأمد الطويل. وأن له ريحاً يشمها هذا الشيخ الكليل.

إني لأجد ريح يوسف. لولا أن تقولوا شيخ خرف: لولا أن تفندون.. لصدقتم معي ما أجده من ريح الغائب البعيد).

كيف وجد يعقوب ريح يوسف منذ أن فصلت العير؟ ومن أين فصلت؟ يقول بعض المفسرين: إنها منذ فصلت من مصر، وأنه شم رائحة القميص من هذا المدى البعيد. ولكن هذا لا دلالة عليه، فربما كان المقصود لما فصلت العير عند مفارق الطرق في أرض كنعان، واتجهت إلى محلة يعقوب على مدى محدود.

ونحن بهذا لا ننكر أن خارقة من الخوارق يمكن أن تقع لنبي كيعقوب من ناحية نبي كيوسف، كل ما هنالك أننا نحب أن نقف عند حدود مدلول النص القرآني أو رواية ذات سند صحيح. وفي هذا لم ترد رواية ذات سند صحيح، ودلالة النص لا تعطي هذا المدى الذي يريده المفسرون، ولكن المحيطين بيعقوب لم يكن لهم ما له عند ربه، فلم يجدوا ما وجد من رائحة يوسف[2].

(فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً) أي فلما جاء البشير وهو إبنه يهوذا الذي يحمل القميص من يوسف- وهو الذي حمل إليه قميصه الملطّخ بالدم الكذب ليمحو السيئة بالحسنة- ألقاه على وجه يعقوب فعاد من فوره بصيراً كما كان، بل قد قيل إنه عادت إليه سائر قواه، وليس ذلك بعجيب ولا منكر، فكثيرا ما شفى السرور من الأمراض وجدد قوى الأبدان والأرواح، والتجارب وقوانين الطب شاهد صدق على

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٩/ ١٧٠.
(٢) ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، ٤/ ٢٠.

صحة ذلك[1].فعظمة المعجزة ليست فى النتيجة فحسب ولكن فى طريق الشفاء- وما أعظم إعجاز القرآن الذي وصف حالة مرضية خاصة وبين سببها، ولم يكن يعلم العالم شيئاً عن هذا المرض في ذلك الوقت ولا بعده بزمن طويل[2].

ففي هاتين الآيتين تأكيداً لوجود بصمة رائحة سيدنا يوسف عليه السلام والتي تميزه عن كل البشر، فقد عرف الأب أبنه من رائحة عرقه على القميص.

(١) قال الدكتور عبد العزيز إسماعيل باشا: لا تتحسن أعراض مرض (الجولكوما) أو شدة توتر العين أو تقف شدته إلا بالعلاج، ومنه العمليات الجراحية ولكن شفاء سيدنا يعقوب بوضع القميص على وجهه هو معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الإنسان، وليس المهم هو القميص أو وضعه على وجهه، فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الحاضرين فحسب، ولكن المهم هو طريقة الشفاء وهى إرادة الله المنحصرة في (كن فيكون) وهى خارجة عن كل السنن الطبيعية التي أمر الإنسان أن يتعلمها؛ تفسير المراغي: ص١٥١٣.

(٢) تفسير المراغي: ١٣/ ٣٧.

المطلب الثالث

وجه الاعجاز

يقول الشعراوي رحمه الله:

(قد ثبت علمياً أن لكل انسان رائحة مميزة، لا يشترك فيها مع إنسان آخر، وأن الله سبحانه وتعالى قد بلغنا بهذه الحقيقة العلمية من خلال سورة يوسف، وهي أن لكل إنسان رائحة خاصة لا يشاركه فيها غيره، ونبي الله يعقوب بما علمه الله، عرف من رائحة قميص يوسف لان يوسف، مازال حياً).

وقال أيضاً: (عندما يصل خبر من نبي فلابد لنا أن نؤيد ما يقول، لأن العقول تأخذ مدركات الأشياء على قدرها، وهناك أشياء فوق قدرة العقول، فان حدثتم بها فلا تكذبوها، وإن لم تفهموها) [1].

فعندما أرسل يوسف قميصه لأبيه وقبل وصول القميص أخبر يعقوب ابناءه أنه يجد ريح يوسف، يقول تعالى: (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ)[2]، والغريب في هذه الآية الكريمة هو كيف استطاع سيدنا يعقوب أن يجد ريح ابنه على مسافة طويلة قبل أن يصل القميص إليه؟

ولقد اشرنا سابقاً الى دعوى بعض المشككين إن هذا الأمر غير منطقي ، وقبل تفصيل الحقائق العلمية التي تثبت ذلك، الا يوجد في الابحاث العلمية اشياء تؤكد صدق ما

(١) قصص الانبياء: ص ١١٥٠.
(٢) سورة يوسف: آية: ٩٤.

جاء به القرآن؟

ونمهد لإثبات ذلك بان من الأخبار العلمية التي لفتت انتباهنا أن العلماء قد وجدوا أثاراً لعضو ضامر يسمى vomeronasal))، (فوميرنواسال)، في أنف الإنسان كان في يوم ما، يلتقط الإشارات الكيميائية البعيدة الصادرة عن أشخاص آخرين، ويقول العلماء إن هذا العضو الحساس يقع في الدماغ خلف فتحتي الأنف[1].

إن هذا العضو الضامر كان عبارة عن ثقبين صغيرين يلتقطان الإشارات الكيميائية التي يفرزها أشخاص آخرون ويحتوي على مجموعة من الأعصاب تستطيع تحليل هذه الإشارات والتعرف على صاحبها.

فهذه الخلايا العصبية كانت فعالة منذ آلاف السنين ولكنها فقدت حساسيتها مع الزمن ولم يعد لها مفعول يُذكر، نعلم أن هنالك كثير من الحيوانات تتخاطب بلغة الإشارات الكيميائية، مثل النمل مثلاً[2]. ويؤكد ذلك أن هذا العضو كان مستخدماً بفعالية كبيرة لدى البشر في عصور سابقة[3].

إن العلماء اليوم يعتقدون بوجود إشارات كيميائية يتم تبادلها بين البشر ويحاولون دراسة هذه الإشارات وتأثيراتها واستكشافها، ويعتقدون بوجود مواد كيميائية تميز كل

---

(١) الموقع الالكتروني: موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي:
http / /:www.kaheel7.com.11-2018- 29 6-23-15-47

(٢) وتمتلك حشرات النمل(٥٠٠،٠٠٠) خلية عصبية في دماغها الصغيرة. علاوة على أن أجهزة الاستشعار الحساسة جدا، وتكوينها الجسدي الذي يفرز العديد من المواد الكيميائية هي وسائل تستخدمها النملة في التخاطب؛ الموقع الالكتروني: http: / /www.mucizat.com/
تاريخ الدخول ١٠-١١-٢٠١٧.

(٣) الموقع الالكتروني: موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي:
http: / /www.kaheel7.com /ar، تاريخ الدخول ١٠-١١-٢٠١٧.

إنسان عن الآخر، بل وتميز الرجال عن النساء، حتى إن هذه المواد تؤثر على الجاذبية التي تمارسها المرأة على الرجل.

كما يؤكد الباحثون أن الكثير من الثدييات مثل الفئران تتخاطب بالرموز الكيميائية (مثلاً تفرز أنثى الفأر مواد كيميائية يستطيع الذكر تحليلها والإسراع إلى التزاوج). ويقول العلماء (إن الإنسان يستطيع أن يميز عشرة آلاف نوع مختلف من أنواع الرائحة)[1].

وقد اكتشفت الدكتورة ليندا باك (Linda Buck)، أن أجهزة التحسس في أنف الإنسان تتلقى الروائح وتعاملها مثل الرسائل المؤلفة من أحرف ألفبائية ثم تحولها إلى الدماغ ليتعرف عليها، وبالتالي هناك إمكانية للتعرف على آلاف المواد الكيميائية[2].

ويقرر العلم اليوم هذه الحقيقة العلمية ونقصد إثبات رائحة الإنسان وتميزها عن غيره. فلكل منا رائحة تختلف عن الآخر، حتى إنه ليمكننا القول بأن كل إنسان له بصمة كيميائية تتمثل في أن جسده يفرز مواد محددة تختلف عن أي إنسان في العالم، وتبقى هذه الرائحة مرافقه له في عرقه مثلاً منذ ولادته وحتى الموت[3].

إن تدبر الآية في ضوء هذه الاكتشافات، فقد أحضر إخوة يوسف قميص سيدنا يوسف وفيه رائحة سيدنا يوسف، هذه الرائحة انتقلت مع الريح لتصل إلى أنف سيدنا

---

(١) موقع شبكة الالوكة الثقافية: https: / /www.alukah.ne2150/ ٢٩-١١-٢٠١٨.

(٢) الموقع الالكتروني:

موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي،

http: / /www.kaheel7.com /ar

تاريخ الدخول ١٠-١١-٢٠١٧.

(٣) الموقع الالكتروني:

http: / /kaheel7.com /pdetails.php?id=364&ft=5

تاريخ الدخول ٢٩-١٠-٢٠١٧

يعقوب قبل أن تصل القافلة.

وبما أن البشر كانوا يملكون قدرة كبيرة على تحليل الإشارات الكيميائية أو الروائح، فإن سيدنا يعقوب استطاع تذكر رائحة ابنه الذي مضى على غيابه عشرات السنين[1]، بينما بقية أفراد العائلة لم يصدقوا ذلك، إذ أن الجميع يظن بأن يوسف قد أكله الذئب، ولذلك قالوا له: (قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ)[2].

فنصل الى أن ما جاء في القرآن موافق للمنطق العلمي وللاكتشافات الجديدة ولا يناقضها أبداً، وإذا تذكرنا بأنه قبل آلاف السنين لم يكن التلوث الذي نعيشه اليوم، فإن أي رائحة مميزة ستنتشر بشكل أفضل من انتشارها في عصرنا، وإذا علمنا أيضاً أن العلماء يؤكدون قدرة الإنسان على تذكره الروائح لفترات طويلة من الزمن، وتذكرنا ما يقوله العلماء حول تأثير هذه الروائح على السلوك الإنساني، فيمكننا عندها أن نقتنع بقصة سيدنا يوسف وأن سيدنا يعقوب عليه السلام قد شمّ رائحة قميص ابنه وكانت هذه الرائحة سبباً في اعادة البصر له.

---

(١) فقد ذكر الحافظ إبن كثير ناقلاً عن أهل الكتاب أن عمر نبي الله يوسف عليه السلام يوم وفاته كان مائة وعشر سنين. وحَكى عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وغاب عن أبيه ثمانين سنة، عاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة، ومات هو ابن مائة وعشرين سنة. البداية والنهاية (١/ ٣٦٦).

وهذه الأخبار لم يثبت فيها حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هي من أخبار أهل الكتاب المحتملة للصدق والكذب.

الموقع الالكتروني:

http: / /fatwa.islamweb.net /fatwa /

تاريخ الدخول ١٠-١١-٢٠١٧.

(٢) سورة يوسف: اية: ٩٥.

وإذا تأملنا قصة سيدنا يعقوب عليه السلام عندما ابيضَّت عيناه بسبب حزنه على ولديه يوسف وأخيه، نجد أن العمى حدث نتيجة صدمة نفسية، أي أن السبب نفسي وليس عضوي[1]. وبكلمة أخرى لم يكن هنالك خلل في العين بل إن الخلل حدث في الدماغ في منطقة الرؤيا.

ورائحة قميص يوسف أو كما سمَّاها يعقوب (ريح يوسف) قد أثَّرت ونشَّطت هذه المنطقة من الدماغ أي منطقة الرؤيا، وتذكَّر على الفور ابنه يوسف وتأكد أنه لا يزال حياً، وبالتالي فإن السبب الذي أدى إلى الخلل في الرؤيا قد انتفى، مما أدى إلى تصحيح الخلل في الرؤيا.

وقد علم- أيضاً- كيف أن دماغ الإنسان يقرأ الروائح كما يقرأ الرسائل المكتوبة، أي أن سيدنا يعقوب كان ينتظر هذه الرسالة ليتعرف من خلالها أن ابنه لا زال حياً يُرزق، وبالتالي ستكون سبباً في رد بصره إليه، وهذا ما قاله يوسف لإخوته عندما أمرهم أن يأخذوا قميصه لأن فيه رائحة سيدنا يوسف التي سيتعرف عليها الأب مباشرة حتى قبل أن يصل القميص: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)[2].

ولذلك لم يقل سيدنا يعقوب: (إني لأشم ريح يوسف)، بل قال: (إني لأجد ريح يوسف)، لأن سيدنا يعقوب قد وجد فعلاً هذه الرائحة، وتعرَّف عليها جيداً لأنه كان يبحث عنها طوال سنوات، وهذا يدل على الثقة الكبيرة لسيدنا يعقوب بهذه الرائحة،

---

(١) الموقع الإلكتروني: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:
http: / /kaheel7.com /pdetails.p64&ft
تاريخ الدخول ١٠-١١-٢٠١٧.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٣.

وأن يوسف لا يزال حيا.

وفي السنة النبوية ما يؤيد ذلك:

فقد روى هَبَّار بْن الأَسْوَد، قَالَ: كَانَ أَبُو لَهَب وَابْنُهُ عُتَيْبَةَ قَدْ تَجَهَّزَ إِلَى الشَّام وَتَجَهَّزْتُ مَعَهُمَا، فَقَالَ ابْنُهُ عُتَيْبَةُ: وَاللَّهِ لأَنْطَلِقَنَّ إِلَيْهِ فَلأُوذِيَنَّهُ فِي رَبِّهِ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، هُوَ يَكْفُرُ بِالَّذِي دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « اللَّهُمَّ ابْعَثْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلابِكَ «. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، مَا قُلْتَ لَهُ ؟ قَالَ: كَفَرْتُ بِالإِلَهِ الَّذِي يَعْبُدُ، قَالَ: فَمَاذَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ: قَالَ: اللَّهُمَّ ابْعَثْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلابِكَ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ ، وَاللَّهِ مَا آمَنُ عَلَيْكَ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَسِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا الشَّرَاةَ وَهِيَ مَأْسَدَةٌ، فَنَزَلْنَا إِلَى صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ مَا أَنْزَلَكُمْ هَذِهِ الْبِلادَ وَإِنَّهَا مَسْرَحُ الضَّيْغَمِ ؟ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: إِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ حَقِّي ؟ قُلْنَا: أَجَلْ يَا أَبَا لَهَبٍ، فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ دَعَا عَلَى ابْنِي دَعْوَةً وَاللَّهِ مَا آمَنُهَا عَلَيْهِ ، فَاجْمَعُوا مَتَاعَكُمْ إِلَى هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ، ثُمَّ افْرِشُوا لابْنِي عُتَيْبَةَ، ثُمَّ افْرِشُوا حَوْلَهُ، قَالَ: فَفَعَلْنَا، جَمَعْنَا الْمَتَاعَ حَتَّى ارْتَفَعَ ثُمَّ فَرَشْنا لَهُ عَلَيْهِ ، وَفَرَشْنَا حَوْلَهُ، فَبَيْنَا نَحْنُ حَوْلَهُ وَأَبُو لَهَبٍ مَعَنَا أَسْفَلَ وَبَاتَ هُوَ فَوْقَ الْمَتَاعِ ، فَجَاءَ الأَسَدُ فَشَمَّ وُجُوهَنَا، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يُرِيدُ، انْقَبَضَ ثُمَّ وَثَبَ، فَإِذَا هُوَ فَوْقَ الْمَتَاعِ، فَجَاءَ الأَسَدُ فَشَمَّ وَجْهَهُ، ثُمَّ هَزَمَهُ هَزْمَةً فَفَضَخَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: سَيْفِي يَا كَلْبُ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَيَّ غَيْرُ ذَلِكَ، وَوَثَبْنَا، فَانْطَلَقَ الأَسَدُ وَقَدْ فَضْخَ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ: قَدْ عَرَفْتُ وَاللَّهِ مَا كَانَ لِيَنْقَلِبَ مِنْ دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ[1].

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٣٩٨٤)؛ وقال الحاكم صح الإسناد و وافقه الذهبي؛ والبيهقي في الدلائل برقم (٦٢٢) والحديث حسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ،٤/ ٩٣؛ وأبو نعيم الأصبهاني.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي ؟ قَالَتْ: لا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ، قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ! قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَدَعَاهَا فَقَالَ: يَا فُلانَةُ؛ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ: نَعَمْ؛ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا، قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ، قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ؛ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةُ صِغَارٍ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ[1].

ففي الحديثين السابقين حديث بدقة فائقة عن حقيقة علمية لم يتمكن العلماء من رؤيتها إلا قبل سنوات قليلة، فقد عبر النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الاول، وهو في قصة عتيبة بن ابي لهب: (فَجَاءَ الأَسَدُ فَشَمَّ وُجُوهَنَا، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يُرِيدُ، انْقَبَضَ

(١) أخرجه الإمام أحمد في « المسند «: (١/ ٣٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير: حديث (١٢٢٨٠)، وابن حبان: حديث (٢٩٠٣)، والحاكم (٢/ ٤٩٦). قال الذهبي في « العلو « (٨٤) عن: «هذا حديث حسن الإسناد»، وقال ابن كثير في « التفسير « (٣/ ١٥): « إسناده لا بأس به «، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٤/ ٢٩٥)، وقال الأرناؤوط في تخريج المسند: « إسناده حسن، فقد سمع حماد بن سلمة من عطاء قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة » (٥/ ٣٠ - ٣١ رقم ٢٨٢١)؛ دلائل النبوة: البيهقي، ٢/ ١٣٥.

ثُمَّ وَثَبَ، فَإِذَا هُوَ فَوْقَ الْمَتَاعِ، فَجَاءَ الأَسَدُ فَشَمَّ وَجْهَهُ، ثُمَّ هَزَمَهُ هَزْمَةً فَفضخَ رَأْسَهُ)؛ وجاء في الحديث الثاني وهو حديث ماشطة بنت فرعون، فقد جاء فيه (لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا).

ويتلخص من ذلك انه قد ثبت علمياً اليوم أن لكل إنسان بصمة لرائحته و التي يتميز بها كل واحد دون سائر البشر، إذ توصل بعض العلماء بعد البحث إلى اكتشاف عدة سمات سواء للإنسان أو الحيوان، والتي منها بصمة العرق التي أشار إليها القرآن الكريم. و يستخدم اليوم جهاز لقياس الرائحة[1]، وتسجيل مميزاتها بأشكال متباينة ومخططات علمية لكل شخص، فقد ظهر جلياً أن لكل شخص رائحته الخاصة التي لا تتفق مع غيره، وأنها تبقى في مكانه حتى بعد مغادرته لذلك المكان.

فوجه الاعجاز في هذا الاكتشاف الجديد، أن رائحة الانسان تختلف من شخص الى آخر ولا يمكن لشخصين حتى التوأمين أن تكون لهما رائحة متشابهة، وهذا ما يؤيده منطوق الحديثين السابقين.

(١) البصمة الصورية والصوتية ودورها في الاثبات الجنائي شرعاً وقانوناً: د. عباس احمد الباز، جامعة نايف للعلوم الامنية ، مركز الدراسات والبحوث، عمان ، ٢٠٠٧، ص٢.

الخاتمة

لقد توصلنا من خلال هذا البحث الى بعض النتائج والتوصيات:

- **النتائج:**

١- إن القرآن الكريم هو المعجزة التي تحدى الله بها العرب وغيرهم.

٢- إن علم الإعجاز بوجوهه الكثيرة هو مصدر أصيل من مصادر التربية الإيمانية والأخلاقية.

٣- إن وجوه الإعجاز كثيرة جداً، وما كل ما توصل إليه العلم هو غيض من فيض، ويعد الإعجاز العلمي هو الجانب الأبرز.

٤- إن في الآية إشارة واضحة الى إعجاز علمي جديد، جاء به القرآن.

٥- من الواجب على يتصدى للكلام عن الإعجاز العلمي أن يكون واسع الاطلاع في العلوم الكونية وخلق الإنسان، اضافة لثقافته في العلوم الشرعية.

٦- إن الإعجاز العلمي هو لغة هذا العصر، عصر العلم والتكنولوجيا وثورة المعلومات.

٧- يجب على الأمة الإسلامية العناية بتأسيس مراكز للإعجاز في جميع أنحاء العالم.

٨- في بحوث الإعجاز العلمي دعوة لغير المسلمين للنظر في آيات الكون، لاسيما العلماء، وكثير منهم من آمن عندما قام بالبحث المجرد.

٩- استحالة التصادم بين الحقائق العلمية والحقائق القرآنية، ذلك لأن القرآن كلام الله، والكون خلق الله، فلا تصادم بين كلام الله ومخلوقاته.

- **ثانيا: التوصيات:**

١- ينبغي على علماء الأمة الإسلامية البحث في آيات الإعجاز للوصول إلى الحقائق الكونية.

٢- عمل ورشات عمل لدراسة الإعجاز وأنواع الإعجاز العلمي وكيفية التعامل مع الأوراق البحثية.

فهرس المصادر

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر باللغة العربية:

١- الأسس العلمية والتطبيقية للبصمات، محمود محمد محمود، رسالة دكتوراه، أكاديمية الشرطة الإماراتية، ١٩٩١م.

٢- البصمة الصورية والصوتية ودورها في الاثبات الجنائي شرعاً وقانوناً: د. عباس احمد الباز، جامعة نايف للعلوم الامنية ، مركز الدراسات والبحوث، عمان ، ٢٠٠٧.

٣- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) (ط. طيبة): إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، المحقق: سامي بن محمد السلامة ،دار طيبة، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ، ط ٢.

٣ - ١٤١٦ - ١٩٩٥.

٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: الأرناؤوط)، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بدون سنة نشر.

٥- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: ج٤، محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م..

٦- الاتقان في علوم القران: الحافظ جلال الدين السيوطي، ج٢، ط٥، سوريا، دمشق، دار ابن كثير، ٢٠٠٢.

٧- استخدام المحققين لوسائل التقنية وعلاقتها بالكشف عن الجريمة: محمد فريح العطوي، رسالة دكتوراه، الاردن ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة مؤتة، ٢٠٠٩.

٨- أباطيل وخرافات حول القران الكريم والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، د: خالد كبير علال، الجزائر، دار المحتسب، ٢٠٠٨.

٩- بصمة الصوت سماتها واستخداماتها: د. عادل عيسى الطويسي، المجلة العربية للدارسات الامنية والتدريب ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، (د، ت).

١٠ - البداية والنهاية (ط. المعارف): إسماعيل بن عمر بن كثير ، مكتبة المعارف بيروت ، ١٤١٠ - ١٩٩٠.

١١- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج١٣ ، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

١٢- - تفسير البغوي- معالم التنزيل: أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت. ٥١٦هـ) (تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون)، ج٤، دار طيبة للنشر والتوزيع. (د. ت).

١٣- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت: الرزي، حجازي، الطحاوي، الغرباوي) ، (د، م) ، (د، ت).

١٤-- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب،ج١، دار إحياء التراث العربي - بيروت ،ط١، ٢٠٠١م.

١٥- تصحيح بعض المفاهيم حول الاستعانة بالكلاب في الشرطة، مدحت الجريشي ، مجلة الأمن العام الإماراتية، العدد١٧٠، السنة ٤٢، يوليو ٢٠٠٠م.

١٦- جامع البيان عن تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب

الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ،ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٧- الجامع لأحكام القران: ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ،ج٩، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر،(د. ت).

١٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ): دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون سنة نشر.

١٩- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٠- دور نظام البصمة الآلي (AFIS) في التعرف على مجهولي الهوية ، دراسة حالة ولاية الخرطوم ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الرباط الوطني ، السودان، ٢٠١٧.

١٢- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٢٢- التفسير الكبير (او مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي(٥٤٤_٦٠٤هـ) ، (ت. عماد زكي البارودي)، مج ٩، القاهرة، المكتبة التوقيفية،(د.ت).

٢٣- ضمانات المتهم والأساليب الحديثة للكشف عن الجريمة، عدنان عبدالحميد زيدان ، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م.

٢٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

٢٥- صحاح تاج اللغة وصحاح العربية: اسماعيل بن حماد الجوهري (ت: احمد عبد الغفور عطار، ج٣، ط٤، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠.

٢٦- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٢٧-فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٢٨- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ، دار الشروق، بيروت- القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٢٩- لسان العرب: ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت. ٧١١هـ)، ج٥، لبنان بيروت، دار احياء التراث العربي،ط١، د.ت.

٣٠- المستدرك على الصحيحين (ط. العلمية): محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ - ٢٠٠٢.

٣١- مباحث في إعجاز القرآن: د مصطفى مسلم ، دار القلم - دمشق، ط٣، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥.

٣٢- المعجزة الخالدة: حسن ضياء الدين عتر، ط ٣ ، بيروت، دار البشائر

الاسلامية، ١٩٩٥.

٣٣- مجلة الشرطة الإماراتية، محمد توفيق محمد، بصمات الشفاه ، العدد العاشر، الشارقة، شوال ١٤١٧ه.

٣٤- المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، القاهرة، دار الحديث،١٩٨٦.

٥٣- موسوعة الاعجاز العلمي في القران الكريم والسنة المطهرة: يوسف الحاج احمد، دمشق ، دار ابن حجر ، ٢٠٠٧.

٦٣- مظاهر اعجاز القرآن الكريم في فكر فاضل صالح السامرائي بكتابه (التعبير القرآني) أنموذجاً دراسة وصفية تحليلية: سليمان السبع، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد بوضياف ، الجزائر، ٢٠١٧.

٣٧- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة:(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، ٢ج ، دار الدعوة، الاسكندرية.

٣٨- الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني: د. سمير عبد الحليم، ط٢، سوريا ، دمشق.(د. مط)،٢٠٠٣.

٣٩- من آيات الاعجاز الانبائي والتاريخي في القران الكريم: زغلول النجار ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠١٣.

٤٠- الواضح في علوم القرآن: د. مصطفى ديب البغا و محيي الدين ديب متو، سوريا، دمشق، دار الكلم الطيب ، ط٢، ١٩٩٨.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

http://www.aljazeera.netmiscel

http://www.alriyadh.com

https://marefa.org

www.iraq-amsi.net

http://library.islamweb.net4

http://bel3raby.net

http://fatwa.islamweb.netf

http://forum.ashefaa.com

http://mawdoo3.com

http://www.aljazeera.net/news

http://www.alkawthartv.com/news

http://www.alriyadh.com

http://www.alukah.net/culture

http://www.elfagr.org

http://www.e-moh.com

http://www.shakwmakw.com

https://ar.wikipedia.org

http://www.kaheel7.com/ar

، http://www.mucizat.com

الإعجاز التشريعي
لآيات الرضاع وحكم بنوك الحليب
الدكتورة خولة حمد خلف الزيدي

ملخص البحث

ان فكره إنشاء بنوك الحليب في السبعينات من القرن العشرين في أوربا والولايات المتحدة، وقد اختلف العلماء المعاصرون في حكم إنشاء بنوك الحليب، والرضاع منها، ولهم في ذلك أقوال ثلاثة، والراجح هو ما ذهب إليه جمهور العلماء، والذي يحرم إنشاء بنوك الحليب، ويحرم الرضاع منها.تناول البجث في مبحثه الأول عن ماهية الإعجاز التشريعي ومزاياه، وفي المبحث الثاني التعريف بالرضاع ودراسة آياته وبيان إعجازها، وفي مبحثه الثالث تناولت التعريف ببنوك الحليب وبيان ماهيتها ونشأتها، وحكمها.وختمت البحث بنتائج منها: أن آية الرضاع في سورة البقرة احتوت على أحكام شرعية مهمة تنظم حياة الطفل والبيت، اللذان هما أساس البيت المسلم، وتضع أحكاما تشريعية عجزت كل القوانين الوضعية أن تشرعها بنص واحد او عدة نصوص. وأنه قد وردت أحاديث تذكر بعض من المنسوخ من الآيات فيما يخص المحرم من الرضعات يشترط لتحقيق الرضاع الشرعي الموجب لتحريم النكاح، كما توجبه القرابة والمصاهرة وفيها كلها اختلاف المذاهب.

Legislative Miraculousness of
Breastfeeding and Milk Banks Provision
Dr. Khawla Hamad Khalaf Al Zaid

Abstract

The idea of establishing Milk Bank in the seventies of the twentieth century in Europe and United States causes contemporary scientists to take different views about its provision and breastfeeding. There are three different views about it but, the most preferred one is what the majority of scientists adopt which is the prohibition of milk bank establishment. The research consists of three dimensions and a conclusion. The first dimension states the meaning of legislative miraculousness and its characteristics .The second dimension deals with the definition of milk bank, its meaning, origin, and its rules. The research concludes with the following results: The verses of breastfeeding in Surah al-Baqarah contains important provisions that governs a child's life and family , which are the basis of Muslim home . The legislative provisions in this surah cannot be enacted in one or several texts by other laws .In Addition, there are some hadiths that mention the abrogated verses regarding the prohibition of breastfeeding. i.e., positive breastfeeding leads to the prohibition of marriage for it is related to kinship and determined by different doctrines.

الإعجاز التشريعي لآيات الرضاع

وحكم بنوك الحليب

أ.م.د. خولة حمد خلف الزيدي

كلية التربية الأساسية / جامعة ديالى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين...

وبعد؛ فان القران العظيم الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد هو وحي من الله تعالى، وهو معجز بلفظه ومعناه ، معجز بهداياته وبصائره، معجز غاية الإعجاز بأحكامه وتشريعاته، فهو كتاب إعجاز وتشريع وهداية؛

يقف العلماء عاجزين منبهرين من تجدد إعجازه ودقه تشريعه إعجاز علمي ، وإعجاز تشريعي ، وإعجاز هداية ، واكتشاف هذا الإعجاز أو استنباطه يحتاج إلى بحوث علمية متخصصة في علوم الشريعة تستنبط التشريعات والقوانين والأحكام الشرعية وغيرها، وتكتشف الإعجاز التشريعي في القرآن ، فالمتبحر في علمه ودراسته وتدبره يكتشف صدق ربانيته وعظيم مصدره

وقد جاء هذا المؤتمر المبارك والموسوم : (القران الكريم -إعجاز يتجدد).

ليكون فرصة لي لأبحث في إعجاز آي من آياته المباركة وها انا ذا استعين بالله و اتبرء من حولي و قوتي إلى حول الله وقوته ليمدني ويسددني في بحثي هذا وقد قدر الله لي أن اكتب في الإعجاز التشريعي لآيات الرضاع وحكم بنوك الحليب ،والذي يتعلق بإحدى محاور مؤتمركم المبارك هذا وقد تناولت في بحثي في مبحثه الأول ماهية الإعجاز التشريعي ومزاياهـ ،

وفي المبحث الثاني التعريف بالرضاع ودراسة آياته وبيان إعجازها وفي مبحثه الثالث

تناولت التعريف ببنوك الحليب وبيان ماهيتها ونشأتها ،وحكمها

ثم خاتمة بأهم النتائج والتوصيات،مستعينة بعد الله بما ذكرت من مصادر ومراجع لانجازالبحث .

سائلة الله سبحانه السداد والرشاد، والثبات ، وان يلهمني الصدق والإخلاص في السر والعلن ،وان يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى ،انه القادر على ذلك.

المبحث الأول

ماهية الإعجاز التشريعي ومزاياه وفيه

المطلب الأول : تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا

أولا : الإعجاز لغة

عرفه ابن منظور بقوله :

عجز: العَجْزُ: نَقِيضُ الحَزْم، عَجَز عَن الأَمر يَعْجِزُ وعَجِزَ عَجْزاً فِيهِمَا؛ وَرَجُلٌ عَجِزٌ وعَجُزٌ: عاجِزٌ. ومَرَةٌ عاجِزٌ: عاجِزَةٌ عَن الشَّيْءِ؛ عَن ابْن الأَعرابي. وعَجَّز فلانٌ رَأْيَ فُلَانٍ إِذا نَسَبَهُ إِلى خِلَافِ الحَزْم كأَنه نَسَبَهُ إِلى العَجْز. وَيُقَالُ: أَعْجَزْتُ فُلَانًا إِذا أَلفَيْتَه عاجِزاً[1].

وعرفه الفراهيدي بقوله :

عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجزُ نقيض الحزم. وعَجَزَ يَعْجِزُ عَجْزا فهو عاجزٌ ضعيفٌ. [2].

وعرفه ابن فارس:

(عَجَزَ) الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ.فَالْأَوَّلُ عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ. وَقَوْلُهُمْ

(١) لسان العرب ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١ هـ) ، ، بيروت، دار صادر سنة (١٩٦٨ م). (٥/ ٣٦٩).

(٢) العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) (١/ ٢١٥)

إِنَّ الْعَجْزَ نَقِيضُ الْحَزْمِ فَمِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ يَضْعُفُ رَأْيُهُ[1].

ثانيا / الإعجاز اصطلاحا هو: أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق

وفي الوجيز :

معنى الإعجاز:والإعجاز في القرآن هو قصد إظهار صدق النبي. في دعوى الرسالة، بفعل خارق للعادة، وإعجاز القرآن ارتقاؤه في البلاغة إلى حد خارج عن طرق البشر، ولهذا عجزوا عن معارضته عند تحديهم، والإعجاز في الكلام هو أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق [2].

المطلب الثاني : أقوال العلماء في الإعجاز التشريعي :

أن القرآن مُعجِز بما فيه من أحكام تشريعية خالدة. لم تحتج على تطاول الدهور إلى تعديل في أُصولها العامة، وأنها تستهدف خير الإنسانية، والحفاظ على الحقوق والواجبات، والقاعدة التي يبنى عليها الحكم قائمة على أساس المصلحة فالنافع مباح، والضار ممنوع. .يقول عبد الرزاق نوفل:

« فقد أثبت التقدم الفكري في العلوم في العصر الحديث أن القرآن كتاب علم قد جمع أصول كل العلوم والحكمة. وكل مستحدَث من العلوم، نجد أن القرآن قد وجه إليه أو أشار إليه «.

---

(١) معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٤/ ٢٣٢)

(٢) ينظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي : الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م: (١/ ١٥٢).

ويقول العقاد: « وقد استوعب الإسلام مذاهب الاقتصاد - كما استوعب مذاهب الاجتماع - في عصر المصارف والشركات وقروضها وفوائدها، دون أن يعوق مصلحة من مصالحها البريئة في العُرف المشروع، وتمضى هذه المذاهب كما مضى غيرها فلا يؤوده بعدها أن يستوعب مذاهب الثروة في أيدى الآحاد، لا يمنع منها إلا ما يمنعه أولاً وآخراً من ضرر وضِرار «.[٣]

وقد أشار القرطبي اشارة مقتضبة إلى الإعجاز التشريعي بقوله: (ومنها: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام) [٤]

والقران الكريم معجز في تشريعه، وللتشريع كما هو معلوم أحكام وافية بمطالب البشر في كل زمان ومكان، وفي كل حكم من أحكامه ضرب من الإعجاز التشريعي ويكفي أن نعلم أن هذا التشريع على كثرة قوانينه وفروعه ومسائله يخلو تمامًا من التناقض والاختلاف، والزيغ والانحراف.{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا[٥]} [٦]

يقول الرافعي: «وما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة وتعاوروه من كل ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثًا وتفتيشًا، ثم هو بعدُ لا يزال عندهم على ذلك خلقًا جديدًا ومرامًا

(٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرفالأولى) عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ): مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م (١/ ١٣٤)

(٤) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن : د مصطفى مسلم: دار القلم - دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م (ص: ٩٧).

(٥) سورة النساء: ٨٢.

(٦) ينظر: دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل دراسات في علوم القرآن (ت: ١٤٢٦هـ): دار المنار الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م (ص: ٣٥٧).

بعيدًا وصعبًا شديدًا» [1].

ويظهر جليا الإعجاز التشريعي للقران بصلاحية إحكامه للمستجدات النوازل

يقول الدكتور محمد يسري:

ودرس النوازل المستجدة وتقرير أحكامها في كل زمان ومكان، بما يحقق مصلحة الإنسان، هو برهان ساطع متجدد على إعجاز التشريع. [2] .

وقد قام بعض المعاصرون بمحاولة بائسة للتشكيك في الإعجاز التشريعي ومحاولة نقضه، وبيان عدم صلاحيته، أو مخالفته العقل، ومن أشهرهم المهندس محمد شحرور في كتابه (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة) [3] ، وقد رد عليه طائفة كبيرة من العلماء [4])

المطلب الثالث: مزايا الإعجاز التشريعي.

إن من أهم مزاياه:

١- أن التشريع مظهر لهداية القرآن:{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[5] .

٢- أنه خير تشريع وأصدق حديث وأعدل حكم:{صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، (ص ٩٨).

(٢) ينظر: فقه النوازل للأقليات المسلمة (١/ ٦٤).

(٣) نشر في دمشق عام ١٩٩٠ وطبعته عدة مكاتب.

(٤) وممن رد عليه: ١/ القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان، لأحمد عمران، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٥. ٢/ بيضة الديك (نقد لغوي لكتاب الكتاب والقرآن) ، ليوسف الصيداوي، المطبعة التعاونية في دمشق، وهو كتاب عظيم رد فيه على أول عشر صفحات من الكتاب من الجانب اللغوي فقط في مائتين وأربع وستين ورقة.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٩.

صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} [1] .

٣- الشمول:فهو في أحكامه شامل لجميع جوانب الحياة عقيدية والتعبدية، والاقتصادية والسياسية، والاجتماعية وغير ذلك. [2] .

٤- وجوب العمل به:

قال تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[3] ، وقال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[4] .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه القيم «المعجزة الكبرى»:

(... إن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلق بتنظيم المجتمع وإقامة العلاقات بين آحاده على دعائم من المودة والرحمة والعدالة لم يسبق به في شريعة من الشرائع الأرضية، وإذا وازنا ما جاء في القرآن بما جاءت به قوانين اليونان والرومان، وما قام به الإصلاحيون للقوانين والنظم بما جاء في القرآن وجدنا أن الموازنة فيها خروج عن التقدير المنطقي للأمور، مع أن قانون الرومان أنشأته الدولة الرومانية في تجارب ثلاثمائة سنة وألف، من وقت إنشاء مدينة روما إلى ما بعد خمسمائة من الميلاد، ومع أنه قانون تعهده علماء قيل إنهم ممتازون منهم: سولون الذي وضع قانون أثينا، ومنهم ليكورغ الذي وضع نظام أسبرطة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

(٢) منقول بتصرف من كتاب البيان في إعجاز القرآن: د. صلاح الخالدي ص٣٢٣، ٣٢٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤.

فجاء محمد صلى الله عليه وسلم ومعه القرآن الذي ينطق بالحق عن الله سبحانه وتعالى من غير درس درسه، وكان في بلد أمي ليس فيه معهد ولا جامعة ولا مكان للتدريس، وأتى بنظام للعلاقات الاجتماعية والتنظيم الإنساني، لم يسبقه سابق، ولم يلحق به لا حق) }[1] .

المبحث الثاني إعجاز آيات الرضاع وفيه:

المطلب الأول : التعريف بالرضاع .

أولا: الرضاع لغة:

- الرضاع - بكسر الراء وفتحها - في اللغة: مصدر رضع أمه يرضعها بالكسر والفتح رضعا ورضاعا ورضاعة أي امتص ثديها أو ضرعها وشرب لبنه. وأرضعت ولدها فهي مرضع ومرضعة، وهو رضيع. قال ابن الاعرابي: الكسر أفصح. [2]

قال الفراهيدي: رَضِعَ الصبي رِضَاعاً ورَضَاعة، أي: مصَّ الثدي وشرب. وأرضعته أمّه، أي: سقته، فهي مرضعة بفعلها. ومُرْضِعٌ، أي: ذات رضيع، ويُجمعُ الرضيعُ على رُضُع، وراضع على رُضَّع[3].

(١) المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ): دار الفكر العربي (ص: ٣٠٧) .

(٢) تاج العروس :الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ) ، ، بنغازي، دار ليبيا: (٢١/ ١٠١)،ا معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبير: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. (ص: ٢٢٣)،القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: الدكتور سعدي أبو حبيب: دار الفكر. دمشق - سوريةالطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م تصوير: ١٩٩٣ م. (ص: ١٤٩).

(٣) العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال (١/ ٢٧٠).

ثانيا : الرضاع اصطلاحا :

الرضاع في الشرع: اسم لوصول لبن امرأة أو ما حصل من لبنها في جوف طفل بشروط تأتي[1] .

المطلب الثاني آيات الرضاع واعجازها :

أولا:الآية الأولى: - قال تَعَالى

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2]

الإعجاز فيها:

هذه لأية المباركة من آيات الأحكام من سورة البقرة نموذج فريد من الإعجاز التشريعي في مجال العلاقات الأسرية، فيها أربع وستون كلمة(٦٤) فقط .فهي ليست من طوال الآيات العظيمة في القران الكريم ،ومع ذلك احتوت على أحكام شرعية مهمة تنظم حياة الطفل والبيت ، اللذان هما أساس البيت المسلم، وتضع أحكاما تشريعية

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ): دار الفكر، بيروت الطبعة: ط أخيرة - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٧/ ١٧٢، : أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي (ت ١٢٧٧هـ)المحقق: مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧م: ٣/ ٤١٥، ..

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٣.

عجزت كل القوانين الوضعية أن تشرعها بنص واحد او عدة نصوص .

يظهر لنا من تدبرها عظم التشريع الخالد، وسر من أسرار الإعجاز البين لهذا القران العظيم

آية واحدة ، شرع الله فيها ما يأتي:

١-حكم ا لرضاع. ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾.

جاء الأمر﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ بإيجاب الإرضاع على صيغة الخبر.

قال القرطبي رحمه الله :

(خَبَرٌ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ عَلَى الْوُجُوبِ لِبَعْضِ الْوَالِدَاتِ، وَعَلَى جِهَةِ النَّدْبِ لِبَعْضِهِنَّ عَلَى مَا يَأْتِي). [١] .

قال الثعالبي:

(جملة خبرية يراد بها الطلب: مثل قوله تعالى: وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ)البقرة: ٢٣٣(إذ ليس المراد من هذا النّصّ الإخبار عن حصول الإرضاع من الوالدات لأولادهن، وإنما المراد هو أمر الوالدات بإرضاع أولادهن، وطلب إيجاده منهن)[٢] .

قال ابن عاشور في التحرير:

وَجُمْلَةُ يُرْضِعْنَ خَبَرٌ مُرَادٌ بِهِ التَّشْرِيعُ، وَإِثْبَاتُ حَقِّ الِاسْتِحْقَاقِ، وَلَيْسَ بِمَعْنَى الْأَمْرِ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م: (٣/ ١٦١).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود: دار إحياء التراث العربي - بيروت ا لطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.: (١/ ٢٥٧).

لِلْوَالِدَاتِ وَالْإِيجَابِ عَلَيْهِنَّ لِأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ بَعْدَ أَحْكَامِ الْمُطَلَّقَاتِ، وَلِأَنَّهُ عَقَّبَ بِقَوْلِهِ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا فَإِنَّ الضَّمِيرَ شَامِلٌ لِلْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَلَى وَجْهِ التَّغْلِيبِ كَمَا يَأْتِي، فَلَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ عَلَى إِيجَابِ إِرْضَاعِ الْوَلَدِ عَلَى أُمِّهِ، وَلَكِنْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ لَهَا، وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي سُورَةِ الطَّلَاقِ بِقَوْلِهِ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرى[1])[2] .:

٢-بيان مدة الرضاع :﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.

٣-وجوب الرزق والكسوة للمرضعة على المولود له﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

٤--الإنفاق حسب الوسع :﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

٥-النهي عن الإضرار بالوالدين كلاهما : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾

٦-الإنفاق على الوارث. ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾.

٧-بيان الحكم عند انفصال الزوجين: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

٨-جواز الاسترضاع من غير الأم : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾.

٩- الأمر بتقوى الله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

---

(١) سورة الطلاق:الاية:٦.

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ: (٢/ ٤٣٠)

١٠- الإخبار بعلم الله البصير العالم بالحال والمال: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

وهذا الإعجاز التشريعي إنما يظهر ويثبت عن طريق الفقه الإسلامي، الذي حقيقته عمل الفقهاء المجتهدين في نصوص الوحيين، إدراكًا للعلل والحكم، واستنباطًا للأحكام، وتخريجًا عليها، ومراعاة للمصالح والأعراف والعادات[١]

فالله سبحانه وتعالى الأمر بالإرضاع للمولود هو وحده العالم بأهمية الرضاعة الطبيعية للمولود والتي مازالت المؤسسات الطبية والمعاهد تدرس بأهمية بالغة هذا الموضوع الذي يتكشف فيه الإعجاز الإلهي لهذا التشريع ويقف إمامه كل العلماء صاغرين .

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي :

بالمناسبة أخ كريم أمضى في أميركا ثلاثين عاماً وهو يحمل أعلى شهادة في الطب، قرأ دراسة جادة، عميقة، دقيقة، حول حليب الأم، ووجد أن حليب الأم له أثر كبير وخطير في نمو الدماغ، وفي القدرات العقلية، وقد أجريت تجارب للذكاء في أكثر شعوب العالم، فكانت دولة من دول المحيط الهادي إحدى جزر الباسفيك نتائج امتحان أطفالها كان في المقام الأول، وأميركا كان ترتيبها في الدرجة السابعة عشرة من حيث ذكاء الأطفال، الشيء الذي لا يصدق أن هذه الجزيرة ليس فيها إرضاع صناعي إطلاقاً، الأطفال جميعاً يرضعون من أثداء أمهاتهم، لآن حليب الأم له أثر خطير في نمو الذكاء عند الطفل[٢].

---

(١) ينظر: فقه النوازل للأقليات المسلمة «تأصيلا وتطبيقا» الدكتور محمد يسري إبراهيم أصل الكتاب: رسالة دكتوراه في الفقه الإسلامي من كلية الشَّريعة والقانون بجامعة الأزهر: دار اليسر، القاهرة - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، (١/ ٦٤)

(٢) موسوعة النابلسي: الدرس السادس عشر من ايات الاحكام .بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٩٩٧

ثانيا: الآية الثانية: قال الله عزَّ وجلَّ:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ(١).

وقد وردت أحاديث تذكر بعض من المنسوخ من الآيات فيما يخص المحرم من الرضعات

١- ماقد روي عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: « كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ، بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ »(٢).

٢- عَنْ عَمْرَةَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ، تَقُولُ: - وَهِيَ تَذْكُرُ الَّذِي يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ قَالَتْ عَمْرَةُ: فَقَالَتْ: عَائِشَةُ - «نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ أَيْضًا خَمْسٌ مَعْلُومَاتٌ»(٣). (٤).»،

هذه الاية ورد فيها ذكر المحرمات من النساء من النسب ومن الصهر

قال القرطبي :وَالسَّبْعُ الْمُحَرَّمَاتُ بِالصِّهْرِ وَالرَّضَاعِ: الْأُمَّهَاتُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَالْأَخَوَاتُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَأُمَّهَاتُ النِّسَاءِ وَالرَّبَائِبُ(٥)

(١) سورة النساء:الآية:٢٣.

(٢) الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ ،دار إحياء التراث العربي،بيروت،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ت هـ (٣٩٢) ط٢: (٢/ ١٠٧٥)باب التحريم بخمس رضعات ،رقم الحديث(١٤٥٢).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ١٠٧٥)باب التحريم بخمس رضعات ،رقم الحديث(١٤٥٢).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ١٠٧٥).

(٥) تفسير القرطبي (٥/ ١٠٦

جاء في الهداية:

(حرم عليكم نكاح أمهاتكم، حرم الله تعالى في هذه الآية من النسب سبعاً، ومن الصهر سبعاً: فالتي من النسب: الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت، والتي من الصهر: الأم من الرضاعة، والأخت من الرضاع)[1] .

وفي السراج المنير:

ثنى بالسبب الثاني وهو الرضاع فقال: {وأمّهاتكم اللاتي أرضعنكم} وضابط أمّك من الرضاع هو: كل من أرضعتك أو أرضعت من أرضعتك أو صاحب اللبن أو أرضعت من ولدك بواسطة أو غيرها أو ولدت مرضعتك بواسطة أو غيرها أو صاحب لبنها وهو الفحل بواسطة أو غيرها فأمّ رضاع {وأخواتكم من الرضاعة} وضابط أخت الرضاع هو كل من أرضعتها أمّك أو ارتضعت بلبن أبيك أو ولدتها مرضعتك أو ولدها الفحل ويلحق بذلك بالسنة باقي السبع لخبر الصحيحين: «يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة» ، وفي رواية: «حرموا من الرضاعة ما يحرم من الولادة» ، وفي رواية: «حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب[2] » .

يشترط لتحقيق الرضاع الشرعي الموجب لتحريم النكاح، كما توجبه القرابة والمصاهرة، شروط: بعضها يتعلق بالمرضعة، وبعضها يتعلق بالرضيع، وبعضها يتعلق بلبن الرضاعة، وفيها كلها اختلاف المذاهب[3]

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (٢/ ١٢٧

(٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٢٩٢).

(٣) ينظر :الفقه على المذاهب الأربعة (٤/ ٢٢٥)،وانأ هنا لم أتطرق الى ذكر الاختلافات الفقهية في مسالة الشروط التي اشترطها الفقهاء ،ولم أتعرض إلى الخلاف بينهم في عدد الرضعات المحرمات، ولا للزمن الموجب للتحريم خشية الإطالة ولان مقام بحثي هنا لبيان الإعجاز وليس لبيان اختلاف الفقهاء فأرجو متابعة المسائل الخلافية في مظانها من كتب الفقه ل\فا .

الإعجاز فيها :

القرآن الكريم يقرر صيانة الضرورات بآيات احكامه ومحكم تنزيله ودقة تشريعه ويهتم ببناء الأسرة؛ لأنها نواة المجتمع فيشرع الزواج ويقيم رباط الأسرة على الود والرحمة، والسكن النفسي، والعشرة بالمعروف ويهتم ببيان تشريعات تحفظها وترعى حرمتها .وتبرز هنا ضرورة حفظ النسل من الاختلاط بالمحرمات فيشرع هنا أحكاما خاصة بالمحرمات من النساء

وفي هذه الآية يبرز الأتي :

١-ورد فيها تحريم الأمهات من الرضاع عقيب ذكر المحرمات من النسب(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ

٢-سمى الله المرضعة أما وان لم تلد الرضيع وحرمها كالأم الوالدة .

٣-ثم ثنى الله بالمحرمات من الرضاعة بالأخت من الرضاعة : (وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ)

٣- الأم والأخت من الرضاع تحرم على الرضيع نكاحها وتعد من محارمه

وقد استشهد الباقلاني ومالك بن نبى على الإعجاز التشريعي

بآية المحرمات: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ. . .) [1]

ثالثا:-الآية الثالثة :

فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى)[2].)

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ١٣٥).

(٢) سورة الطلاق:الاية:٦.

الإعجاز فيها

هذه لأية المباركة من آيات الأحكام في سورة الطلاق،وهي أخر الآيات التي تحدثت عن موضع الرضاع،وبينت في اقل من ثلاث عشر كلمة أحكام تخص حالة الرضاع بعد الطلاق واختلاف الزوجين .

وفيها :

١- الأمر بإيتاء الزوجات الأجرة مقابل الإرضاع . فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ الِاسْتِئْجَارُ إِذَا كَانَ الْوَلَدُ مِنْهُنَّ مَا لَمْ يَبِنَّ. وَيَجُوزُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ.

٢-: الائتمار بين الزوجين المطلقان بالمعروف: (وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ).

قال القرطبي:

هُوَ خِطَابٌ لِلْأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ، أَيْ وَلْيَقْبَلْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ الْجَمِيلِ. وَالْجَمِيلُ مِنْهَا إِرْضَاعُ الْوَلَدِ مِنْ غَيْرِ أُجْرَةٍ. وَالْجَمِيلُ مِنْهُ تَوْفِيرُ الْأُجْرَةِ عَلَيْهَا لِلْإِرْضَاعِ. وَقِيلَ: ائْتَمِرُوا فِي رَضَاعِ الْوَلَدِ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ حَتَّى لَا يَلْحَقَ الْوَلَدَ إِضْرَارٌ. وَقِيلَ: هُوَ الْكِسْوَةُ وَالدِّثَارُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ.

٣-جواز استئجار مرضعة اذا تعاسر الزوجان:وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى)

قال القرطبي:

أَيْ فِي أُجْرَةِ الرَّضَاعِ فَأَبَى الزَّوْجُ أَنْ يُعْطِيَ الْأُمَّ رَضَاعَهَا وَأَبَتِ الْأُمُّ أَنْ تُرْضِعَهُ فَلَيْسَ لَهُ إِكْرَاهُهَا، وَلْيَسْتَأْجِرْ مُرْضِعَةً غَيْرَ أُمِّهِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَإِنْ تَضَايَقْتُمْ وَتَشَاكَسْتُمْ فَلْيَسْتَرْضِعْ لِوَلَدِهِ غَيْرَهَا، وَهُوَ خَبَرٌ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: إِنْ أَبَتِ الْأُمُّ أَنْ تُرْضِعَ اسْتَأْجَرَ

لِوَلَدِهِ أُخْرَى، فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ أُجْبِرَتْ أُمُّهُ عَلَى الرَّضَاعِ بِالْأَجْرِ. وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ رَضَاعُ الْوَلَدِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: رَضَاعُ الْوَلَدِ عَلَى الزَّوْجَةِ مَا دَامَتِ الزَّوْجِيَّةُ، إِلَّا لِشَرَفِهَا وَمَوْضِعِهَا فَعَلَى الْأَبِ رَضَاعُهُ يَوْمَئِذٍ فِي مَالِهِ. الثَّانِي- قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا يَجِبُ عَلَى الْأُمِّ بِحَالٍ. الثَّالِثُ- يَجِبُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ حَالٍ. الرَّابِعَةُ- فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَلْزَمُهَا رَضَاعُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ قَابِلٍ ثَدْيَ غَيْرِهَا فَيَلْزَمُهَا حِينَئِذٍ الْإِرْضَاعُ. فَإِنِ اخْتَلَفَا فِي الْأَجْرِ فَإِنْ دَعَتْ إِلَى أَجْرِ مِثْلِهَا وَامْتَنَعَ الْأَبُ إِلَّا تَبَرُّعًا فَالْأُمُّ أَوْلَى بِأَجْرِ الْمِثْلِ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْأَبُ مُتَبَرِّعًا. وَإِنْ دَعَا الْأَبُ إِلَى أَجْرِ الْمِثْلِ وَامْتَنَعَتِ الْأُمُّ لِتَطْلُبَ شَطَطًا فَالْأَبُ أَوْلَى بِهِ. فَإِنْ أَعْسَرَ الْأَبُ بِأُجْرَتِهَا أخذت جبرا برضاع ولده[1]..

فما أروع هذه الآيات وما أبدع التنزيل، وما أحكم المنزل سبحانه الذي اعجز في آية بل في جزء من آية في سورة تتحدث عن انهيار أهم العلاقات الإنسانية التي تقوم على أساسها الأسرة التي هي قوام المجتمع المسلم ،فانزل شرعا يضمن حقوق الطفل والمطلقة والزوج المطلق دون غين أو ظلم لأي طرف من الأطراف الثلاث فأي شرع سماوي هذا اعجز أهل القانون بان يضموا حقوق المتخاصمين دون إلحاق الحيف بأحد الأطراف فتعالى الله وتقدس سبحانه

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ١٦٩)

المبحث الثالث: حكم بنوك الحليب وفيه:

المطلب الأول: ماهية بنوك الحليب،ونشأتها:

تعريف بنوك الحليب:

وتَبَنَّك بِالْمَكَانِ: أَقام بِهِ وتأَهل. وتَبَنَّكوا فِي مَوْضِعِ كَذَا: أَقاموا بِهِ[1]

؛ قال ابن فارس: «بنك: الباء والنون والكاف كلمة واحدة وهو قولهم :

بنك: تبنك بالمكان: أقام به، وهو من البنك. [2]

وليس هناك تعريف محدد للبنوك ولكن في المعجم الاقتصادي عرفه بأنه مؤسسة تقوم بعمليات الائتمان بالاقتراض والإقراض، كما أنَ كلمة مصرف العربية تستخدم لتعني البنك وهى مأخوذة من الصرف، والصرف باللغة العربية يعني بيع النقد بالنقد. [3]

إوفي مصطلح العصر: البنك مؤسسة تقوم بعمليات الائتمان بالاقتراض و الإقراض. [4]

فبنوك الحليب: مؤسسات تقوم بعملية تجميع اللبن من أمهات متبرعات يتبرعن بشيء مما في أثدائهن من اللبن إما لكونه فائضاً عن حاجة أطفالهن، وإما لكون الطفل قد توفي وبقي في الثدي اللبن، أو بأجرة وقيمة تعطى لها مقابل هذا اللبن المأخوذ منها، فيؤخذ

---

(١) لسان العرب (١٠/ ٤٠٣) .

(٢) مجمل اللغة لابن فارس (ص: ١٣٦).

(٣) ينظر صحيفة البيان :البنوك وانواعها عادل عبدالله الفهيم

التاريخ: 13 مايو 2012

https: //www.albayan.ae

(٤) مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة: تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة وقد صدرت في ١٣ عددا، وكل عدد يتكون من مجموعة من المجلدات، (العدد الثاني، ج١ ص ٣٨٣).

هذا اللبن بطريقة معقمة من المتبرعة أو البائعة ويحفظ في قوارير معقمة بعد تعقيمه مرة أخرى في بنوك الحليب، ولا يجفف هذا اللبن بل يبقى على هيئته السائلة حتى لا يفقد ما به من مضادات الأجسام antibodies التي توجد في اللبن الإنساني ولا يوجد مثيلها في لبن الحيوانات مثل الأبقار والجواميس والأغنام. [1] .

المطلب الثاني : حكم بنوك الحليب.

ان الحديث عن هذا الموضوع وبيان حكم بنوك الحليب من إكمال بيان اعجاز القران العظيم التشريعي لآيات الرضاع ،لانه من النوازل المستجدة في زماننا

يقول الدكتور محمد يسري :

فإن النوازل المستجدة مسائل تتعلق بأفعال المكلفين، ولا يوجد في ذخيرتنا الفقهية نصٌّ في بيان حكمها، فهي مفتقرة إلى استفراغ الوسع وبذل غاية الجهد في استنباط حكمها وإدراك مأخذها. [2] ..

وهذا ما أشار إليه الإمام الجويني [3] بقوله: «فلو قال قائلٌ: ما يتوقع وقوعه من الوقائع لا نهاية له، ومآخذ الأحكام متناهية، فكيف يشتمل ما يتناهى على ما لا يتناهى،

(١) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ٢/ ٢٦١.

(٢) ينظر: فقه النوازل للأقليات المسلمة (١/ ٦٤)

(٣) أبو المعالي، ضياء الدين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الجويني الشافعي، إمام الحرمين الأصولي المتكلم، الفقيه أحد الأئمة الأعلام، من تصانيفه: نهاية المطلب، والبرهان في الأصول، ولد سنة ٤١٩ هـ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ. ينظر سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م (١٨/ ٤٦٨)، و الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)ا: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م: ٤ / ٢٩٠..

وهذا إعضال لا يبوء بحمله إلا موفق ريَّانٌ من علوم الشريعة» [1] .

وقد اختلف العلماء المعاصرون في حكم إنشاء بنوك الحليب،[2] والرضاع منها ولهم في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: يحرم إنشاء بنوك حليب الأمهات في العالم الإسلامي، ويحرم الرضاع منها، وهو الذي قرره مجلس مجمع الفقه الإسلامي

(١) ينظر: غياث الأمم في التياث الظلم، للإمام أبي المعالي الجويني، تحقيق: د. مصطفى حلمي ود. فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية، (ص ٣١٢).

(٢) ان السبب في اختلاف العلماء في هذه المسألة، يرجع إلى اختلافهم في صفة الرضاع الذي يحصل به التحريم، وهذه الجزئية محل خلاف بين الفقهاء السابقين:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء -الحنفية، والمالكية، والشافعية، وهو المذهب عند الحنابلة- إلى أن السعوط والوجور تثبت بهما الحرمة كالرضاع -أي كالمص من الثدي- وهو قول الشعبي والثوري وغيرهم قال ابن هبيرة: «واتفقوا -أي أصحاب المذاهب الأربعة- على أنه يتعلق التحريم بالسعوط والوجور إلا في إحدى الروايتين عن أحمد أنه لا يثبت التحريم إلا بالرضاع من الثدي»)،وبناء على ذلك ما يحصل في بنوك الحليب يعتبر رضاعا، القول الثاني: ذهب ابن حزم ونقله عن الليث بن سعد، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، أما نسبة هذا القول إلى الإمام أحمد، فهي رواية عنه ولكنها غير معتمدة، والمعتمد كقول الجمهور.ينظر: مقال بنوك الحليب :إعداد/ محمد نعمان البعداني.١٦/ شعبان/ ١٤٣٠هـ/ الموافق: ٨/ ٨/ الموافق له ٢٠٠٩م.مراجعة الدكتور/ قسطاس إبراهيم.

نص قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

قرار رقم: ٦ (٦/ ٢١) [بشأن بنوك الحليب]

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمر الثاني بجدة من ١٠ - ١٦ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ - ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥م،

بعد أن عرض على المجمع دراسة فقهية، ودراسة طبية حول بنوك الحليب،

وبعد التأمل فيما جاء في الدراستين ومناقشة كل منهما مناقشة مستفيضة شملت مختلف جوانب الموضوع وتبين منها:

- بنوك الحليب تجربة قامت بها الأمم الغربية، ثم ظهرت مع التجربة بعض السلبيات الفنية والعلمية فيها فانكمشت وقل الاهتمام بها.

٢- الإسلام يعتبر الرضاع لحمة كلحمة النسب يحرم به ما يحرم من النسب بإجماع المسلمين، ومن مقاصد الشريعة الكلية المحافظة على النسب، وبنوك الحليب مؤدية إلى الاختلاط أو الريبة.

٣- أن العلاقات الاجتماعية في العالم الإسلامي توفر للمولود الخداج أو ناقصي الوزن أو المحتاج إلى اللبن البشري في الحالات الخاصة ما يحتاج إليه من الاسترضاع الطبيعي، الأمر الذي يغني عن بنوك الحل يب.(١٤)

٤- ما ينتج عن إنشاء هذه البنوك والرضاع منها من عموم الفوضى فقد يتزوج الرجل امرأة يكون قد رضع منها أو من لبن ابنتها أو من لبن أمها وهذه مفسدة عظيمة تفضي إلى اختلاط الحابل بالنابل فتمنع؛ سداً للذريعة(١٥) وقد تقرر في القواعد أن سد الذريعة من أصول هذه الشريعة.

٥- حفظ النسل من الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة بها فأي سببٍ يفضي إلى ضياع النسل واختلاطه فإنه لابد أن يمنع محافظة على هذه الكلية، وهذا اللبن في بنوك الحليب لا يعرف لبن أي امرأة ولا ندري من الطفل الذي سيرتضع منه، وحفظ النسل واجب والتسبب في اختلاطه وإضاعته محرم، وقد تقرر في القواعد أن: مالا يتم ترك الحرام إلا به فتركه واجب وفعله محرم.

٦- القول بجواز إنشاء هذه البنوك فيه إقدام على مفاسد متحققة من أجل دفع مفاسد متوهمة، فإن ارتضاع الطفل ممكن باستئجار مرضعة إن طرأ أي طارئ يمنع من رضاعة الطفل من أمه رضاعة طبيعية أو لم تكن الأم موجودة، والمتطوعات بذلك من النساء كثر، بل إنه مع تقدم الصناعات فإنه يمكن استبدال لبن الأم مع فقدها وفقد المرضع من النساء بالحليب الصناعي فإنه يسد الغرض وإن كان لا يقوم مقام لبن الأم لكنه يسد ثغرة، وبناءً عليه فإنه لا ضرورة تدعو إلى إنشاء هذه البنوك ولا حاجة لها أصلاً، فالإقدام عليها إقدام على مفاسد متحققة من أجل دفع

قرر ما يلي:

اولا: منع إنشاء بنوك حليب الأمهات في العالم الإسلامي.

ثانيا حرمة الرضاع منها..:

والله أعلم .[1]

القول الثاني: يجوز إنشاء بنوك الحليب، والرضاعة منها، وهو قول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ عبد اللطيف حمزة مفتي مصر، والشيخ علي التسخيري

القول الثالث: على فرض مسيس الحاجة إلى وجود هذه البنوك يطالب بوضع احتياطات مشددة لها منها: أن يجمع الحليب ويتم أخذه من المرضعات في أواني منفصلة، وأن يكتب على كل قارورة اسم المتبرعة بحيث تعرف صاحبة كل حليب، ويسجل في السجل اسم الطفل الذي تناول هذا الحليب، ويتم إثبات واقعة الرضاع في سجلات محفوظة مع إشعار ذوي الشأن، ويعلم أهل الطفل اسم هذه المرضعة؛ حرصاً على عدم تزاوج من بينهم علاقة رضاعية محرمة، وبذلك ينتفي المحذور.(٢٣)

المطلب الثاني: نشأة بنوك الحليب:

ظهرت فكره إنشاء بنوك الحليب في السبعينات من القرن العشرين في أوربا والولايات المتحدة بعد أن انتشرت من قبل مجموعة من البنوك مثل بنوك الدم وبنوك القرنية وبنوك المني وبنوك الأعضاء، والسبب في نشأتها تفكك المجتمع الغربي وتقطع أواصره وانتشار الفواحش بشكل مذهل فيه هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن الأم قد لا تستطيع إرضاع طفلها لنضوب لبنها أو لوجود مرض معدٍ أو لأي سبب من الأسباب التي تمنع الإرضاع مثل وجود خراج بالثدي، أو مرضها المقعد لها عن تحمل الرضاعة وتبعاتها، لذا

(١) مجلة المجمع (العدد الثاني، ج١ ص ٣٨٣).

ظهرت فكرة تكوين بنوك الحليب، وتعتمد هذه الفكرة على تجميع اللبن الفائض أو غير المرغوب فيه من الأمهات المتبرعات وحفظه حفظاً جيداً في ثلاجات خاصة ثم إعطائه مجموعة من الأطفال هم في أشد الحاجة إليه ومع ذلك فإن أمهات هؤلاء الأطفال لا يستطعن القيام بإرضاعهم، ولهذه الأسباب قامت فكرة إنشاء بنوك اللبن وقصد منها إنقاذ هؤلاء الأطفال الذين يحتاجون بصورة خاصة للبن إنساني في الوقت الذي لا تستطيع فيه أمهاتهم أن يقمن بالرضاعة، ولا يوجد في هذه المجتمعات مرضعات بأجر أو بغير أجر يقمن بهذا العمل الإنساني النبيل، هذه الفكرة قامت ونفذت بالفعل في أوربا والولايات المتحدة، وهي فكرة لها ما يبررها من الناحية العملية وخاصة في أوربا وأمريكا، ومع هذا فإن بنوك اللبن قد انكمشت بصورة خاصة في الولايات المتحدة. [1]

الترجيح:

بعد هذا العرض للأقوال يتبين رجحان ما ذهب إليه جمهور العلماء، وبالتالي رجحان القول الأول الذي يحرم إنشاء بنوك الحليب، ويحرم الرضاع منها، أيضاً فإن إنشاء بنوك الحليب مع وجود الأمهات المرضعات استبدال الأدنى بالذي هو خير، وهذا شبيه بما فعله بنو إسرائيل عندما طلبوا البصل والثوم والعدس وتركوا المن والسلوى.

(١) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ٢/ ٢٦١- ٢٦٣، وموقع:
http: / /www.ejabh.com /arabic_article

الخاتمة

أسأل من الله تعالى جل في علاه أن يوفق جميع المسلمين لما يحب ويرضى، وأن يأخذ بنواصينا جميعاً للبر والتقوى، و أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يهدينا لما اختُلف

١-القرآن مُعجِز بما فيه من أحكام تشريعية خالدة. لم تحتج على تطاول الدهور إلى تعديل في أُصولها العامة،

٢-للتشريع كما هو معلوم أحكام وافية بمطالب البشر في كل زمان ومكان، وفي كل حكم من أحكامه ضرب من الإعجاز التشريعي.

٣-آية الرضاع في سورة البقرة احتوت على أحكام شرعية مهمة تنظم حياة الطفل والبيت ، اللذان هما أساس البيت المسلم، وتضع أحكاما تشريعية عجزت كل القوانين الوضعية أن تشرعها بنص واحد او عدة نصوص .

٤-وردت أحاديث تذكر بعض من المنسوخ من الآيات فيما يخص المحرم من الرضعات يشترط لتحقيق الرضاع الشرعي الموجب لتحريم النكاح، كما توجبه القرابة والمصاهرةوفيها كلها اختلاف المذاهب

٥-اعجز الله في آية بل في جزء من آية في سورة الطلاق والتي تتحدث عن انهيار أهم العلاقات الإنسانية التي تقوم على أساسها الأسرة التي هي قوام المجتمع المسلم ،بانزال شرع يضمن حقوق الطفل والمطلقة والزوج المطلق.

٦-ظهرت فكره إنشاء بنوك الحليب في السبعينات من القرن العشرين في أوربا والولايات المتحدة- الإسلام يعتبر الرضاع لحمة كلحمة النسب يحرم به ما يحرم من النسب بإجماع المسلمين،

٧-حفظ النسل من الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة بها فأي سببٍ يفضي إلى ضياع النسل واختلاطه فإنه لابد أن يمنع محافظة على هذه الكلية

٨-اختلف العلماء المعاصرون في حكم إنشاء بنوك الحليب، والرضاع منها ولهم في ذلك أقوال ثلاثة

٩-بعد أن عرض على المجمع دراسة فقهية، ودراسة طبية حول بنوك الحليب،قرر منع إنشاء هذه البنوك وحرمة الرضاع منها

١٠-١٠-احد أسباب نشأة بنوك الحليب تفكك المجتمع الغربي وتقطع أواصره وانتشار الفواحش بشكل مذهل فيه .

١١-رجحان ما ذهب إليه جمهور العلماء، والذي يحرم إنشاء بنوك الحليب، ويحرم الرضاع منها، أيضاً

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم :

١-الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ): دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م

٢-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م،

٣-: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي (ت ١٢٧٧هـ)المحقق: مصطفى عبد القادر عطا: دار الكتب العلمية - بيروت

الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧م

٤- بنوك الحليب :مقال اعداد/ محمد نعمان البعداني.١٦/ شعبان/ ١٤٣٠هـ/ الموافق: ٨/ ٨/ الموافق له ٢٠٠٩م.مراجعة الدكتور/ قسطاس إبراهيم.

٥-تاج العروس :الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ) ، ، بنغازي، دار ليبيا

البيان في إعجاز القرآن: د. صلاح الخالدي-٦

٧-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»

: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ:

٨-الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ ،دار إحياء التراث العربي،بيروت،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء

التراث العربي، بيروت،ت هـ(٣٩٢) ط٢.

٩-الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية - القاهرةالطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

١٠-مجمل اللغة لابن فارس : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

١١-الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود: دار إحياء التراث العربي - بيروت ا لطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

١٢-خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ): مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

١٣-دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل دراسات في علوم القرآن (ت: ١٤٢٦هـ): دار المنار الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

١٤-السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ): مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.

١٥-سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

١٦-صحيفة البيان :البنوك وانواعها عادل عبدالله الفهيمالتاريخ: ١٣ مايو ٢٠١٢

https: / /www.albayan.ae

١٧-العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال.

١٨-غياث الأمم في التياث الظلم، للإمام أبي المعالي الجويني، تحقيق: د. مصطفى حلمي ود. فؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية،

١٩-الفقه على المذاهب الأربعة عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (ت: ١٣٦٠هـ): دار الكتب العلمية، بيروت - لبنانالطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٠-فقه النوازل للأقليات المسلمة «تأصيلا وتطبيقا» الدكتور محمد يسري إبراهيم

أصل الكتاب: رسالة دكتوراه في الفقه الإسلامي من كلية الشَّريعة والقانون بجامعة الأزهر: دار اليسر، القاهرة - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

٢١-القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: الدكتور سعدي أبو حبيب: دار الفكر. دمشق - سوريةالطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م تصوير: ١٩٩٣ م.

٢٢-القاموس المحيط، لفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت ٨١٦ هـ) ، القاهرة، المكتبة التجارية،

٢٣-لسان العرب ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١ هـ) ، ، بيروت، دار صادر سنة (١٩٦٨ م).

٢٤-مباحث في إعجاز القرآن : د مصطفى مسلم: دار القلم - دمشقالطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٢٥-مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة: تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة وقد صدرت في ١٣ عددا، وكل عدد يتكون من مجموعة

من المجلدات،

٢٦-المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ): دار الفكر العربي

٢٧-معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبير: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٨-معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)المحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٩-موسوعة النابلسي: الدرس السادس عشر من آيات الأحكام .بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٩٩٧

٣٠- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ): دار الفكر، بيروت الطبعة: ط أخيرة - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣١-الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه

أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخير: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣٢-الوجيز في أصول الفقه الإسلامي : الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

دراسة في تأطير ادراكات العقل وتأصيل هدايات النقل

د.رعد حميد توفيق البياتي نور علي ابراهيم الزيدي

ملخص البحث

يتحدث البحث عن العلاقة بين العقل وسبل الهداية بالنقل بوصفها قضية ذات بعد معرفي إما ان تؤدي بالإنسان الى الايمان المطلق او تؤدي الى الالحاد، ذاكراً ان هذا التسابق بين العقل والوحي قضية قديمة حديثة لكون الاسلام بقدر ما جاء ليؤسس ويؤصل للحياة على منهج الوحي فانه في الوقت ذاته كان يعلي من شان العقل ويجعل منه ظهيرا للوحي في صياغة الحياة الانسانية وهداية البشرية ومن هنا نشأ النظر المتوازن بينهما والمحدد لدور كل منهما في الكشف عن الحق والتعريف به والالتزام بمخرجاته. و قد ربط الباحث ما جاء في القرآن الكريم والنظريات الحديثة ليثبت الاعجاز العلمي في توجه العقل عن طريق هدايات النقل وختم الباحث بحثه بنتائج عدة منها: إن الافتراض القائل بوجود تضاد وتناقض بين الرؤية الدينية للمعرفة والرؤية العقلية فليس مرده الى اخفاق الدين او العقل في ادراك المعرفة بصورتها الجلية ، بل يرجع الى وجود خلل في منهجية تطبيق القواعد بسبب مؤثرات ذاتية او موضوعية قد نكتشفها عندما نتجرد للبحث عن الحقيقة ونتخلى عن الفلسفية او الميول الذاتية التي تدفعها لتوهم التناقض. و ان لا دين يستمر ويجد القبول بلا عقل ولا عقل متزن بلا دين فالوحي والعقل في الرؤية القرانية للمعرفة متكاملان في الكشف عن الحقيقة وبيانها وتفسيرها.

The Knowledge System in the Holy Qur'an
A study in Framing the Mind Perceptions and Rooting the Trends of Transport

Prof. Raad Hameed Tawfiq Al-Bayati
Nour Ali Ibrahim Al-Zaidi

Abstract

The research studies the relationship between framing the mind perception and rooting the transport trends. The topic is described as a matter of cognitive dimension that either leads to absolute faith or leads to atheism. The race between reason and revelation is an old and modern issue because Islam comes ,in addition to establish life on the revelation path , to highlight mind and makes it the support for revelation in the formulation of human life and the guidance of humanity. Hence, the balanced consideration is aroused between them and each one has its own specific role to show the truth. And each has its own definition with the commitment to its outputs. The researchers link what the Qur'an has with modern theories to prove that the scientific miraculousness lies in the framing of the mind with the transport trends. the research is ended up with the results that the assumption that the existence of contradiction between religious vision of knowledge and mental vision is not due to the failure of religion or mind in the perception of knowledge in its obvious form, but due to a defect in the methodology of application .

النظام المعرفي في القرآن الكريم

دراسة في تأطير ادراكات العقل وتأصيل هدايات النقل

أ.د. رعد حميد توفيق البياتي

الجامعة العراقية / كلية العلوم الاسلامية

م.م. نور علي إبراهيم الزيدي

كلية الامام الاعظم ابو حنيفة (رحمه الله) الجامعة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم...

لابد من الاعتراف ان العلاقة كانت وما زالت بين العقل والنقل محل تجاذب وخلافات كبير بين العلماء والفلاسفة، بناء على جملة من المقدمات والمؤثرات التي تؤثر في بروز احدهما على الاخر فكلما شهد العالم قفزات نوعية في المجال العلمي والصناعي والاكتشافات الفريدة حسب ما يراه المفكرين من نتاج عقلي محض اخذ يعلن العقل يوما بعد يوم استقلاله الكلي او الجزئي عن المقدس ومتعلقاته بوصفها كلاليب تحد من انطلاقته المعرفية وتتناقض مع معرفته العقلية وتجلت هذه الحالة بظهور الالحاد بأشكاله وصوره المتنوعة وهي في الوقت ذاته تبحث عن ايجاد مبررات من اجل التمرد العلمي حول كل ما تجده من مقدس وديني وعقدي، وهذا الامر انسحب حتى على اتباع الاديان سيما المسلمين فبين من يجعل للعقل حدود تقارب النقل ومنهم من يجعلها تتجاوزه بل وتحد من فاعليته وبين من يعتد بالنقل ويلغي بالكلية العقل.

وهنا نركز على اهمية تناول موضوعات المعرفة بحقائق القران والوجود وتأرجح هذه المعرفة بين ما يدرك بالعقل او ما يمكن ان يؤصل هدايات النقل ووجوب الايمان بها، وما عداه يؤدي بصورة غير مباشرة وطويلة الامد الى الالحاد والقول بمحدودية النقل وامكانية هداياته للبشرية.

اذ ان هذا التسابق بين العقل والوحي قضية قديمة حديثة لكون الاسلام بقدر ما جاء ليؤسس ويؤصل للحياة على منهج الوحي فانه في الوقت ذاته كان يعلي من شان العقل ويجعل منه ظهيرا للوحي في صياغة الحياة الانسانية وهداية البشرية ومن هنا نشأ

النظر المتوازن بينهما والمحدد لدور كل منهما في الكشف عن الحق والتعريف به والالتزام بمخرجاته.

علما ان البحث في هذه الثنائية والتناظر بأحقية احدهما على الاخر كانت مجال سجال ونزاع شبه دائم كلما احدثت تحديات انبرى الفكر الاسلامي للبحث فيها فنحن نستذكر كتب ابن رشد الذي حاول التوفيق بينهما بعد دخول الفلسفات اليونانية الى دائرة الثقافة الاسلامية والامر اليوم وما تمر به الامة من تيارات تتبنى رؤى العقلانية الغربية بتطرف يحتم ان تعاد هذه القضية من أجل تأصيلها والتعمق فيها فاليوم الخطورة اكمن واشد، كون القران الكريم له عمق وذو رؤية كونية للمعارف لم يستطع الفكر الغربي والمد الثقافي من فلسفات يونانية ونظرات حداثية ان يخل بميزان تلك الثنائية اخلالا مؤثرا في صالح العقل على حساب الوحي في قيادة وتوجيه الحياة، ولم يتعد الامر التوفيق بينهما اما في عصرنا المعيش والمسلمون في اشد ضعفهم الشامل فنرى ان التحدي مخيف حقا بسبب امكانية الاخلال بتلك الثنائية في صالح العقل وبقيومية العقل في ادارة الحياة بمعزل عن الوحي حتى يصل الى اعدام دوره.

ومن خلال ما مر تجلت اشكالية البحث وهي ذلك الصراع بين الافكار في استقرارية النظام المعرفي في القران الكريم، وفي اسبقية العقل ام النقل في استحصال المعرفة لإدارة الحياة واستكشاف الوجود والغيب

وهنا لا بد من الاشارة الى اننا لسنا فقط من كتب بأحد جانبي العنوان بحثنا هذا من خلالما نشير اليه في الدراسات السابقة التالية : اذ كتب عدد قليل من الدراسات حول العقل في القران الكريم او الوحي فيه ايضا، ولكن جميع ما كتب لم يتناول النظام المعرفي فيها وتنازعنهما بالقيادة على الاخر، ومن باب الامانة العلمية سأذكر اهم ما اطلعت عليه من هذه الدراسات:

١. المعرفة الإنسانية، عبد الحليم الالوسي، بحث منشور في مجلة البوابة الجزائرية للنشر، وفيه اجاد الباحث ولكن لم يتطرف للمعرفة بصورة عامة عن الوجود والغيب.

٢. اعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين، محمد الأمين بله الأمين الحاج معهد، جامعة الجزيرة/ السودان، مجلة فتوحات، العدد الثاني لعام ٢٠١٥

٣. المعرفة بين تعدد الرؤى الغربية وتكامل الرؤية الاسلامية، سلطان بلغيث، جامعة تبسة/ المغرب، ولكن الباحث لم يتخصص في المنازعة الوجودية والمعرفية بين القران الكريم والعقل.

وهذا ما اطلعت عليه واستفدت منه في بعض الاحيان .

وعليه ستكون محاولة تفكيك تلك الاشكالية من خلال التركيب الموضوعي للعلاقة بينهما عبر محطات موضوعية متسلسلة وهي من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الاول: تأطير العقل وتأصيل النقل في القران الكريم

اولا: التفكيك والتركيب للمعرفة القرآنية وانعكاسها على قدسية القران الكريم

ان الثبات في الكليات الشرعية واصولها اصل محوري من ثوابت قدسية القران الكريم فالثابت في الاسلام هو مالا يتغير بتغير الزمان والمكان ولا يكون محل اجتهاد، فأحكامه باقية مهما تطورت الحياة لان المصالح التي روعيت في تشريعها ثابتة فطبقا لأصول الدين والشريعة الاسلامية ان من الثوابت الدينية هي القران الكريم والسنة النبوية الشريفة والتي يخضع لها الواقع المتغير بكافة جوانبه ولا يجوز اخضاعها للواقع ومن جملة الثوابت العقائد والغيبيات في الاصول ومقاصد الشريعة في الاخلاق والفضائل العامة.

ثانيا: المقصود بالمعرفة في القران الكريم

يجب التأكيد على أن القرآن الكريم ليس كتاب فلسفة، ولا كتب نظريات في علم المنطق ولا في المعرفة وليس كتاب أبحاث ينفصل بعضها عن بعض، ذلك لأنه منهج

رباني متكامل، شامل، لا يفيه حقه وصفه بالنظرية فهو في حد ذاته ليس نظرية في فن من الفنون، وهو يتجاوز البحث النظري إلى التطبيق الواقعي، وهو هدى ونور وشفاء للبشرية، كي تستقيم على طاعة الله وعبادته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

بالنظر إلى المعاني اللغوية المستمدة من القرآن الكريم نجد أن مادة "عرف" وردت تحمل العديد من المعاني ومنها كالآتي:

المعنى الأول: بمعنى العلم وعليم، جاء في لسان العرب: « والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم»[2]، وبهذا المعنى تكون المعرفة متحدة المعنى مع العلم، كما قال ابن منظور: " العرفان: العلم"[3]، وفرق بينهما بعضهم، قال ابن سيده: وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان عرفه يعرفه عرفة وعرفانا وعرفاناً ومعرفة واعترفه"[4].

المعنى الثاني: التتابع والسكون والطمأنينة، جاء في مقاييس اللغة: « العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة، فالأول العرف: عرف الفرس. وسمي بذلك لتتابع الشعر عليه والأصل الآخر المعرفة والعرفان. تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة. وهذا أمر معروف. وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه، لأن من أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه»[5].

(١) سورة المائدة: الآية ١٦.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٦، ص٢٣٦.
(٣) المرجع السابق، ج٦، ص٢٣٦.
(٤) المرجع السابق، ج٦، ص٢٣٦.
(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج٤، ص٢٨١.

المعنى الثالث: الرائحة الطيبة والمعروف الحسن، ورد في القاموس: « ومن الباب العرف، وهي الرائحة الطيبة. وهي القياس، لأن النفس تسكن إليها، والعرف: المعروف، وسمي بذلك لأن النفوس تسكن إليه»[1]. فمن المعنى الأول (العلم) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2] ومن المعنى الثاني (التتابع والسكون والطمأنينة) قوله تعالى: ﴿وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[3]، ومن المعنى الثالث قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[5]. وبالنظر والتأمل في القرآن نجد أن مادة "عرف" وردت في مواضع عدة، فقد ورد الفعل بصيغة المضارع والماضي ٢٢مرة، دلالة على شرف المعرفة، وصلتها بالعلم وأن لها معنى أوسع وأعم دلالة.

وقد فرق قوم بينها وبين العلم، والبعض الآخر لم يفرق، قال الزبيدي في "تاج العروس": " العلم والمعرفة والشعور كلها بمعنى واحد"[6] ثم نقل التفريق في ذلك بين أئمة اللغة فقال: " والأكثر من المحققين يفرقون بين الكل، والعلم عندهم أعلى الأوصاف؛ لأنه الذي أجازوا إطلاقه على الله تعالى، ولم يقولوا: عارف في الأصح، ولا شاعر، والفروق مذكورة في مصنفات أهل الاشتقاق. ووقع خلاف طويل الذيل في

(١) المرجع السابق، ج٤، ص٢٨١. بتصرف.
(٢) سورة المائدة الاية ٨٣
(٣) سورة يوسف:٥٨
(٤) محمد:٦
(٥) الأعراف:١٩٩
(٦) الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تاج العروس من جواهر القاموس، (دارالهداية) ج٣٣، ص١٢٦.

العلم، حتى قال جماعة: إنه لا يحد لظهوره وكونه من الضروريات، وقيل: لصعوبته وعسره، وقيل: غير ذلك، مما أورده بماله وعليه الإمام أبو"الوفاء" الحسن "بن مسعود" اليوسي في قانون العلوم، وأشار في الدر المصون إلى أنه إنما يتعدى بالباء؛ لأنه يراعى فيه أحيانا معنى الإحاطة، قاله شيخنا"[1].

قال الإمام الراغب الأصفهاني: " المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاده الإنكار، ويقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعديا إلى مفعول واحد لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال الله يعلم كذا ولا يقال يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر، وأصله من عرفت أي أصبت عرفه أي رائحته، أو من أصبت عرفه أي خده، يقال عرفت كذا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[3]، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]. ومما سبق يتضح أن الفرق بين العلم والمعرفة يتسم بالآتي:

١. أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله.

٢. أن المعرفة ـ في الغالب ـ تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإن أدركه قيل: عرفه، بخلاف العلم، فالمعرفة تشبه الذكر النفسي، وهو حضور ما كان غائباً عن الذِّكر، ولهذا كان ضدها الإنكار، ومنه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ

(١) المرجع السابق، ج٣٣، ص١٢٦.
(٢) يوسف:٥٨.
(٣) سورة محمد: الآية ٣٠.

الْكَافِرُونَ﴾[1]. وضد العلم الجهل[2].

٣. أن المعرفة أعم من العلم، العلم خاص بما لم يسبق بجهل، لذلك يستعمل في حق الله تعالى العلم، ولا تستعمل في حقه المعرفة، لأن المعرفة هي المسبوقة بجهل[3].

٤. أن المعرفة علم لعين الشيء مفصّلاً عما سواه، بخلاف العلم فإن قد يتعلق بالشيء مجملاً.

٥. أن المعرفة تعني إدراك الحقائق، وانبثاقها من الأعماق، والعلم يعني فهم الحقائق وورودها من خارج ذواتنا، ومن ثم بقائها في عقولنا متحيزة متميزة.

٦. ومن الصوفية من يفرق بين العارف والعالم، فيجعل العارف أخص من العالم.

والفروق كثيرة وما سبق هو حسب اطلاع الباحث، وما يهمنا في هذا المقام هو إيضاح مفهوم المعرفة، وقد سبق إيضاح المفهوم بأن المعرفة هي إدراك الشيء بتدبر وتأمل في آثاره، وهي أخص من العلم، وتعني ممارسة النشاط المعرفي، كما يعرف عماد الدين خليل إسلامية المعرفة بأنها: "ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان"[4]، وبذلك تتضح لنا الصورة الشاملة للمعرفة ومفهومها، وأن دائرة انطلاقها هو العقل، ومحك بلورتها هو العقل، وبلا عقل فلا علم ولا معرفة، وهكذا تزداد أهمية العقل ودوره في البناء المعرفي في المنظور القرآني، وذلك لما للعقل من بالغ الأهمية في توجيه العلم والمعرفة باعتباره وعائهما الرئيس. والله تعالى أعلم.

(١) سورة النحل: الآية ٨٣.

(٢) انظر: يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن، مرجع سابق، ص٧٣.

(٣) ومن القائلين بذلك: محمد أمان الجامي، في شرحه لكتاب الأصول الثلاثة.

(٤) خليل، عماد الدين، مدخل إلى إسلامية المعرفة، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م) ص١٥.

ثالثا : المقصود من العقل والنقل:

العقل في اللغة يأتي بمعان عدة فهو الحبس اذ يحبس عن ذميم القول والفعل وهو الحجر والنهي[١]، وهو نقيض الجهل وقد وردت مادة عقل في القران الكريم بصيغ واشتقاقات مختلفة تسعا واربعين مرة جلها بصيغ المضارعة مما يبرز ويؤكد اهمية ومكانة العقل والتعقل في الاسلام.

واصطلاحا فهو (تلك المعلومات الضرورية الفطرية في الانسان التي تكون اساسا لكل نظر واستدلال)[٢] وقيل العقل هو العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات ومجاري العادات[٣] وكل ما يصدر عنه فهي العلوم العقلية وهي ما تقتضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وتنقسم الى ضرورة ومكتسبة وكلاهما يسمى عقلا[٤].

اما النقل في اللغة فهو يدل على تحويل شيء من مكان الى مكان [٥] واصطلاحا فهو التعاليم الدينية التي مصدرها الله تعالى ومبلغها الى الناس النبي المرسل، فالنقل بالنسبة الى المسلمين هو التعاليم التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مبلغا اياها عن ربه منضبطة في النص القرآني ونصوص الحديث النبوي الشريف[٦].

---

(١) موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ط١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت لبنان ١٩٩١ ص١٥.

(٢) خلافة الانسان بين الوحي والعقل، عبد الحميد النجار ط٣ الدار العربية للعلوم لبنان ٢٠٠٦ ص ٧٢.

(٣) المواقف،عضد الدين الايجي، تحقيق عبد الرحمن عميرة ط١ دار الجيل بيروت ١٩٩٧ ج٢ ص ٨٧.

(٤) ابو حامد الغزالي، احياء علوم الدين، ط٢ دار المعرفة بيروت د ت ج٣ ص ١٦.

(٥) معجم مقاييس اللغة،احمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر دمشق ١٩٧٩ ج١١ ص ٦٧٤.

(٦) عبد المجيد النجار ص ٦٨ ٦٩.

رابعا: الوحي القرآني وجوانب الهداية:

ان المجال الرئيس الذي يدور حوله الوحي هو الاجابة عن التساؤلات الوجودية وهداية الانسان لمجموعة العلاقات التي تربط بين الانسان وقضايا الغيب وتضبطها ويحدد بذلك طبيعة العلاقة الوجودية ويفسرها ويضعها في اطارها الصحيح، ولا شك ان هذه العلاقات [1] منها ما ينفرد الوحي ببيانه ومنها ما ينفرد العقل بتفسيره ومنها ما هو مشترك بينهما، فللوحي الاثبات وللعقل الفهم والتأويل والاستنباط.

لئن كانت معرفة العقل محدودة من جهة وموجّهة من جهة أخرى بوسائل المعرفة المختلفة، فأنّ له أن يملك القدرة على توجيه حياة الإنسان برسم مناهجها المطلقة، الصّالحة لكلّ زمان ومكان؟ ومن هنا يظهر الحجم الحقيقي للعقل الإنسانيّ رغم ما تروج له الحضارة الغربية من تعظيم لدور العقل، حتّى غدا إلاها بموت الإله عندهم، أمّا الواقع فيعارض كلّ ما يروج في هذا الشّأن، إذ يظهر يوما بعد يوم قصوره لذاته، وما تعانيه البشرية من ضياع ودمار إلّا دليل على ذلك، أمّا الإسلام ورغم تمجيده للعقل وإشادة آيات كثيرة به وبدوره في حياة البشر إلّا أنه أعطي حجمه، وظهرت جلية حاجته إلى التوجيه والتصويب، وإلى التزوّد بالحقائق الخارجة عن نطاق عالم الشّهادة، و التي يستحيل على العقل إدراكها لاستعلائها على حسّ الإنسان.

من هنا يظهر أثر الوحي في تبصير الإنسان بحقائق الوجود، وجمع شتات المعرفة الإنسانية في نظرة كونية توحيدية انتظمت بها العلائق في الوجود وانضبطت بها فهوم الإنسان ومداركه لحقيقة نفسه، وحقيقة الوجود من حوله، وحقيقة خالقه وواجبه نحوه. وحدّد الوحي للإنسان منهاج خلافته متمثلا في أحكام عملية يحقّق من خلالها

(١) ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الاسلامية، ص٨٤.

العبودية الخالصة لله، والاستعلاء التام في الوجود دونّما احتقار للنفس أو تجبّر في الكون، بل في توازن وسير مطرد ثابت على امتداد الحياة الدّنيا مرورا إلى الحياة الآخرة عبر الموت.

وبهذا نشأت ثنائية طرفاها الوحي والعقل، تبصّر الإنسان بضرورتها في حياته، إذ بالوحي يتضح له منهاج غاية وجوده، وللعقل أوكلت مهمّة الفهم والتنزيل المؤدّية به إلى تلك الغاية[1].

و أثمر التلازم الفعلي لطرفي تلك الثنائية خير أمّة أخرجت للناس، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[2] كما استحقّت أن تكون شاهدة على غيرها من الأمم في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾[3]، وذلك لأنّ الله تعالى خلق الإنسان مستعدّا للفهم والإدراك، وأنزل إليه رسله مبشّرين ومنذرين لهدايته إلى الحقّ والخير، وبلوغ السّعادة في الدّنيا والآخرة، يقول محمّد نعيم ياسين: "من أجل ذلك خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، ونفخت فيه الروح بأمره سبحانه لتكون موضوعا ومحلّا لكثير من الغرائز والقابليات والقدرات التي تمكّنه من حَل الأمانة، وفي مقدّمة هذه الغرائز غريزة

(١) عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي و العقل، ص٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

العقل وغريزة التفكير وغريزة الإرادة. ثمّ خلق الله تعالى للإنسان لخدمة تلك الروح وتنفيذ إرادتها بدنا صالحا للقيام بما تأمره به تلك الرّوح. ولو وقف الأمر عند هذا الحد لما استطاع القيام بتلك الأمانة حتّ يأتيه الهدى من رّبه في كتب منزلة على رسل من بن جنسه تبيّن له الحقائق والمصير، وما ينتقي وما يلتزم به، وكيفيات الطاعة المطلوبة"[1].

ويواصل الكاتب في بيان حاجة الإنسان إلى الوحي لما يزوّده به من أمور ضرورية، بإيراد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾[2] وكذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥ ﴾ «[3] ثمّ يقول : «و ذلك في نصوص محمّلة بالمعاني، جعلها سبحانه آيات منيرة قابلة لأن يستقبلها التقويم الإنساني، بحيث إذا استقبلها ونفّذها سعد في الدّارين. فظهر مِا تقدّم أن أحسن أوضاع الإنسان في الدّارين مرهون تحقّقه بتحقّق ثلاثة أمور معا: الأوّل هدى من الله عزّ وجلّ، والثاني إدراك هدى الله تعالى، والثالث تنفيذ الإنسان ذلك الهدى «[4]. ويظهر من كلّ ما سبق أنّ الوحي هو سبيل الإنسان إلى السّعادة في الدّنيا باتباع الهدى والوصول إلى الخير والنفع باتباعه وفي الآخرة التي ستكون حصادا لما كان منه في الدّنيا من عمل صالح، واتباع للصراط المستقيم، لتظهر آثار الوحي جلية في كونها المنهج القويم لتحقيق غاية الخلق ومقصد الوجود الإنساني.

(١) محمد نعيم ياسين، مباحث في العقل، ط٢٠١١م، دار النفائس، الأردن، ص٢٢٤.
(٢) سورة إبراهيم ٤٠.
(٣) سورة التوبة ١١٥.
(٤) محمد نعيم ياسين، مباحث في العقل، ص٢٢٤.

خامسا: ادراكات العقل ومعاركه الفلسفية:

بما ان العقل مناطا للتكليف وبما ان الله لا يكلف نفسا الا وسعها فهذا يعني ان منهج الخلافة باسره متأسس على العقل في تنزيله على الارض فهو وسيلة ذلك التنزيل ولولاه ما وجد منهج للخلافة اصلا، ولهذا كانت مكانة العقل كبيرة لقدرته تنزيل ما مر على ارض الواقع لقدرته على استيعاب صورة الوحي الالهي وقدرته على تجلي الوحي في الواقع حياتيا نافذا وبإسقاطه على الواقع. ولهذا كانت الآيات القرآنية تعظم من اهمية العقل وتبدي ثنائها على مستخدميه واللوم على تاركيه، كون النظر العقلي هو الفاتحة الضرورية لتحمل منهج انزال الوحي على ارض الواقع والاستخلاف، وعليه تحددت مهمة العقل في ادراك مجالين هما(عالم الغيب وعالم الشهادة او عالم التقوى وعالم التقنية).

١. عالم الغيب وهو بدوره يتكون من:

أ. جانب قابل للادراك العقلي وهو الجانب المتشيء وهو في حقيقة الامر ينتمي الى عالم الشهادة ولان الانسان في وقتنا الراهن لا يملك ادوات التنقيب عنه ومعرفته تم توصيفه من عالم الغيب وهو المذكور في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1] فبقدر تراكم المعرفة وتوفر ادواتها تتضح الرؤية الغيبية التي كانت محجوبة عنه في عالم الاكوان وعالم الانسان المقيدة بما كان على الارض.

ب. جانب غير قابل للإدراك العقلي مطلقا وهو ما يطلق عليه حقيقة بالغيب المطلق والذي لا يخضع للتفكر والنظر ولا لتوفر ادوات المعرفة البشرية اذ هو لا يدخل تحت مدركات الحواس ولا تحت الاستنتاج المنطقي ولا معلومات عنه الا من خلال من نقل

(١) فصلت: ٥٣.

الينا من الخبر الصادق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[1]

٢. عالم الشهادة وهو ينقسم الى مجالين ايضا:

ا. عالم الآفاق وهو محور مجال العقل من المدركات الطبيعية لتحقيق عمارة الارض وبناء الحضارة ويكون مظهر البنى العلوم التقنية وتشخيص الرؤية الانسانية للتجربة . عالم الانفس وهو مجال الاجتماع الانساني وهو يتوسط العقل فيه بين استلهامه من الوحي وتنزيله على الواقع اذ العقل فيه دورا محدودا وعلة التوسط هو ان العقل فيه محتاج للمعطيات النقلية للقدرة على بناء الاحكام وبتجرد العقل عن النقل هنا يخلو العقل من تلك المعطيات المتعلقة بذات الانسان وحقيقته لهذا مزج الخطاب القرآني في كثير من آياته بين استقلالية العقل وهدايات النقل وفي احايين عدة عمل على تثوير العقل لإدراك هدايات النقل[2] واذا كان العقل لا يملك معطيات الانسان وفصول حياته فكيف يكون قادرا على اصابة الحق المطلق في تقدير ما ينبغي ان تكون عليه الحياة فعلا وتركا وان اقصى ما يمكن ادراكه هو ان يصيب الحقيقة النسبية المتحيزة بالظرف المكاني والزماني المعين بحسب ما تتوفر له من معطيات في ذلك الظرف وهو ما نراه مؤكدا في تاريخ الفعل البشري وما نراه من تلك المناهج الحياتية والتي جاء ينقض بعضها بعضا على مر الزمن حتى ليصعب ان نظفر بفكرة وحكمة عقلية في مجال التقدير ثبتت صلاحيتها لحياة الانسان في كل مكان وزمان.

سادسا: العقل بين التقديس والتهميش:

وما دمنا نتكلم عن تعطل العلاقة بين الوحي والعقل في حياة المسلمين وما أدّت إليه من عطالة، فإنه من النافع التعرّض إلى وجه من أوجه هذه الإشكالية، لخطورته المتمثلة في

(١) سورة الجن: الآية ٢٦.

(٢) كقصة سيدنا الخضر وسيدنا موسى عليهما السلام.

عدم انضباط مفهوم العقل في الفكر الإسلامي، وليس المجال في هذه العجالة التعرض إلى ماهية العقل، إنّما قصدت من إيضاح هذه النقطة أنّ العقل في الفكر الإسلامي تأرجح بين طرفي الإفراط حتّى أعطي منزلة تصل أو تتجاوز منزلة الوحي، وكمثال بسيط طرح المعتزلة في نقاط كثيرة مثل خوضهم في مسألة إيجاب الأفعال الإنسانية، إذ يرون أنّ العقل يمكنه أن يحلّ محلّ الوحي في إيجاب الأفعال في حالة إنسان لم يبلغه وحي، يقول عبد المجيد النجار: « أمّا المعتزلة فإنّهم أسّسوا رأيهم في الإيجاب على رأيهم في التقدير، فلمّا كان الوحي عندهم هو المقدّر لكلّ الأفعال الإنسانية، والعقل يشترك معه في التقدير في بعض تلك الأفعال، فإنّ الإيجاب فيما اختصّ الوحي بتقديره يكون موقوفا عليه، ولا مدخل للعقل فيه»[1] .

و أمّا الأفعال التي تدخل في مجال تقدير العقل، فإن جاء فيها وحي فهو الموجب فيها، والعقل ليس مدركا بذلك الإيجاب لإدراكه القيم التي بنى عليها، وإذا لم يرد فيها وحي على إنسان ما فإنّ ذلك الإنسان يكون عقله موجبا للأفعال التي هي من جنس ما يقدر على تقديره، ويكون بالتالي مستحقّا للمدح والذّم، وللثواب والعقاب، ولهذا فقد أثبت المعتزلة التكليف العقلي على من لم يبلغه الوحي"[2]. وهذا المثال كاف لما لقيه العقل عندهم من تقدير ساوى فيه الوحي في إيجاب الأفعال. ولعلّ هذا الموقف يؤدّي إلى إقحام العقل في ضرب من ضروب النقض في الحاكمية الإلهية بناءً على أنّ العقل وما وهبه الله إياه من قدرة على الكشف والنظر والتقدير، إلّا أنه ليس مؤهّلا للإيجاب، إذ هو من اختصاص الوحي وحده.

(١) عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص٨٢.
(٢) عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص٨٢.

أمّا في الطرف المقابل فنجد من يلغي أيّ دور للعقل، ويجعله متلقّيا للوحي مطبقا له دون إمكانية الفهم والتأويل والخوض في نصوص الوحي. فقللوا من شأن العقل، وغمطوه حقّه، وقصروا غاية المعرفة الإنسانية على ظاهر النصوص، ولا يخفى خطر هذا المنحى على حياة الإنسان، ووظيفته الوجودية التي لا تتحقّق إلّا بعقل مسترشد بالوحي، وفعل محكوم بالوحي والذي لا يفهمه إلّا العقل ليستخرج أحكامه وفق مقاصد إلاهّية من التشريع لا يصل إليها إلّا العقل. وبتهميش العقل يتجمّد، ويغلق باب الاجتهاد والإبداع في كافة مجالات الحياة، إذ الوحي جاء لهداية الإنسان إلى ما فيه خيره في الدّارين وأنه لا يعيش في الدّنيا إلّا من أجل الآخرة، ولا يكون في الآخرة إلّا على قدر ما قدّم في الدّنيا من طاعة وعبودية لله تستغرق كلّ أفعاله وأقواله، لتشمل نياته، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «إنّما الأعمال بالنيات».

وإذا رجعنا إلى مدرسة التاريخ، فإنّها تعلمنا أنّ ما نجح به أسلافنا هو ثنائية الوحي والعقل معا، يقول عبد المجيد النجّار: « فليس الوحي والعقل إلّا وسيلتين للتعريف بالحقيقة فيما ينبغي للإنسان أن ينتهج من أنّاط في الفكر والسّلوك ليتعامل مع الكون بما يؤدّي إلى غاية وجوده، فكلّ بحث فيهما من هذا الوجه يرتبط شديد الارتباط بالبحث في حقيقة الإنسان ذاته، وفي وظيفته، وفي الغاية من وجوده»[1]، ومتّى انضبط مصطلح العقل في أذهان المسلمين، وعرفوا حقيقة وظيفته ومنزلته في الشريعة الإسلامية بما نزل في القرآن الكريم من نصوص تشيد بالعقل، وتعلي من شأنه، سيعرفون حينها أنه نعمة إلاهية رتب عليها الله تعالى التكليف، لحاجة الإنسان إلى إدراك أحكام الشريعة الإسلامية، وفهم الخطاب الالهيّ الموجّه إلى البشر، الحامل لهذه التكاليف والأحكام،

(١) عبد المجيد النجّار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص٣٥.

فهما يساعده على استيعاب الخطاب، وإدراك المقصد منه، ومحاولة تنزيله في حياة الإنسان في إطار الظروف الزمانية والمكانية، ومسايرة خصوصيات الإنسان المتباينة، لتصلح بها في النهاية حياته، وتستقيم بها أخلاقه وسلوكاته فيتحقّق بهذا الانضباط، الفهم الصّحيح، والتطبيق الجيد لمقتضى النصوص القرآنية.

المبحث الثاني: مخاطر الفصل بين العقل والوحي

المطلب الاول: قراءة معاصر لمخاطر الفصل بين العقل والنقل

المعضلة الكبرى في الحياة الإنسانية عندما تنشطر وتنفصل المعرفة الدينية عن المعرفة العقلية، حيث يأخذ انشطار المعرفة صورتين: إما بعزل الوحي، وإما بتعطيل العقل.

ففي الحالة الأولى يفقد الحياة أخلاقيتها وتنحط بالإنسان الى درك البهيمية، ولذلك فالفكر الغربي يعجز عن التكامل، ويعجب لإمكان تلاقي الروح والمادة والنفس والجسم .ذلك أنه يقوم في أعمق أعماقه على قاعدة الفصل بين القيم . ولا ريب أن هذا هو اخطر خلاف جذري بين منهج البحث الإسلامي ومنهج البحث الغربي .ومن هنا كانت فجوة ضخمة بين الفكرين في مجال دراسات النفس والاجتماع والأخلاق[1].

أما الصورة الثانية فتكوف عندما يعطل العقل وتمثلها الحضارة الروحية الشرقية مما ينتج عنها التخلف والفساد والانحراف والخروج عن وظيفة العمارة التي تعد الشطر الثاني للابتلاء، ومن أمثلتها ما أشار إليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴾[2].

وكلا الصورتين لا يسهمان في تحقيق الاستخلاف على صورته الصحيحة، وهذا ما جعل عماد الدين خليل يصف الحضارة الغربية بالعرجاء والعوراء، لأنها قائمة على مبادئ العلمانية الغنية ماديا الفقيرَة روحيا، وساق ذلك الوصف في تمثيل طريف فقال: «إن المسيح الدجال ذو العين الواحدة، ربما كان رمزا لهذا الاختيار المر الذي قاد الأمم والشعوب إلى الضياع، يعود هذا الدجال في آخر الزمان ليرى الإنسان الذي استعبد نفسه للطغيان صورة نفسه :إنسان أعور، مشوه، ذميم الخلقة، من أجل أن يثير الاشمئزاز في

(١) المعرفة الإنسانية/ عبد الحليم الالوسي، بحث منشور في مجلة البوابة الجزائرية للنشر، ص ١٤.
(٢) سورة الكهف الآية : ٩٣

نفوس الأجيال المستعبدة، علها تثور ضد الذين سخروا منها فاقتلعوا عينها وحطموا ساقها... تماما كما سيعود المسيح العظيم في آخر الزمان لكي يرد-أغلب الظن -على الذين تنازلوا عن حريتهم وقرروا أن يعبدوه من دون الله»(١).

المطلب الثاني: التكامل المعرفي في المنظومة الاسلامية

مما لاشك فيه أنجاح التكامل المعرفي بين العقل والوحي يمكن أن يكشف لنا عظمة ما يمكن أن يقدم المسلمون للحضارة المعاصرة سواء على مستوى العلوم الإنسانية، أو على مستوى العلوم العقلية والطبيعية، والحقيقة أن الحضارة الغربية التي تقود العالم اليوم انفصلت فيها المعرفة فنسيت الله من خلال إقصاء الدين من الحياة فنسيها الله وحرمها من الاستمتاع بما توصلت إليه من العلم، وغدت كالدجال الذي ينظر بعين واحدة ويلعب بالعقول ويسحر الألباب بالإنجازات المادية التي لا تروي النفوس ولا تطمئن القلوب، فضاعت إنسانية الإنسان تحت الشعارات البراقة الحرية والديمقراطية والتقدم، لكن المطلع على خبايا هذه الحضارة يكتشف أنها غررت بالإنسان وجعلته يعيش ممزقا ومغتربا عن ذاته أو كما يسميها إقبال الغارة على الإنسانية ويؤكد كلامه رجاء جارودي حين يعتبر أن الداء الذي تعاني منه البشرية كلها هو نتيجة وجود قوة اسمها الولايات المتحدة الامريكية المتحالفة مع المال الصهيوني حيث ومنذ زمن طويل وهي تحفر للبشرية قبرها وتفرض عصر الانحطاط، وتقود في كل يوم شعوبا إلى الموت، بدءا من الهنود الحمر إلى المخطوفين من أدغال افريقيا إلى إبادة الأفغان والفلسطينيين ثم العراقيين بصمت وبتواطؤ مع بعض قوى العالم، التي تقدس العلم وهو في أشد حالات

(١) عماد الدين خليل، تهافت العلمانية ص ٢٣.

تخريبه، فأصبح يعطى للأسلحة المدمرة للإنسان والحضارة أسماء منمقة فأصبحنا نسمع عن القنابل الذكية والسباق الجنوني لامتلاك المزيد من أسباب الهلاك بينما تحاول حضارة الشذوذ تقنين الانحراف عن الفطرة وذلك من خلال عقد مؤتمرات تبدو في الظاهر لخدمة الإنسان والتنمية، ولكنها في الحقيقة تنحط بمقرراتها حتى تصل بالإنسان إلى أسفل سافلين، وهي في العمق تستهدف التمكين للادينية والفوضوية. في اللحظة التي يعاني فيها الانسان من ظلم الحضارة الغربية يعرض الإسلام منهجه الذي يصوغ معادلة حكيمة تليق بالإنسانية الشاملة تجمع فيها شتات القلب والعقل، والروح والجسد، والدين والعلم. وليس غريب المسلمين بمنهجهم الحضاري الإنساني الرباني وبوضعهم انتاج العقل في موقعه الصحيح بناء لا هدما، وسيلة لا غاية، وإدراكا لما يوصل لخشية الله وليس تقديسا للعلم، واستغناء به عن الله، بمعنى أن العلم والمادة والقوة في إطار الحضارة التي وظفت توظيفا ضد الانسان ينبغي إعادة صياغتها في إطار المنظومة الأخلاقية لا كمجرد مفاهيم محورية نظرية، بل كمشاريع حضارية إصلاحية تجعل الارتقاء بالإنسان روحا وجسدا من أولوياتها. وذلك بصياغة معادلة حضارية كالتالي :الحضارة الحقيقية = الوحي (القيم الأخلاقية) +العقل (الانتاج المادي)، والعقل لا يملك إلا ضوءا خافتا يحتاج إلى الاستمداد من نور الوحي لإكمال الرؤية الحسنة للأشياء، وكذلك من يحاول أن يتعامل مع الوحي بلا عقل، فإنه كمن يتحرك بساق واحدة سرعان ما يفقد توازنه فيسقط وينكسر، فالوحي يصنع الساجد والعقل يبني المساجد ليؤدي الانسان وظيفة العبادة والعمارة في آن واحد، وبجمالية عالية يتحقق معها شطري الاستخلاف العبادة والعمارة، وهنا ننقل عبارة لطيفة لعلي عزت بيقوفيتش يقول فيها»: فالعلم لا يعلِّم الناس كيف يحيون، ولا من شأنه أن يقدم لنا معايير . ذلك لأن القيم التي تسمو بالحياة الحيوانية إلى مستوى الحياة الإنسانية تبقى مجهولة وغير مفهومة بدون الدين . فالدّين مدخل إلى

عالم آخر متفوق على هذا العالم، والأخلاق هي معناه»[1]، فليس الانسان وحده في هذا الكون، وليس هو الحيوان. وإنما هو مخلوق مكرم للخالق الكرم الذي اختاره واستخدمه في الأرض ووكل إليه عمارتها بميثاق أمانة ومسؤولية فردية والتزام أخلاقي وليس هو حيوانا ولا خاضعا لغرائزه، ولكنه مهيأ وفق إرادته ليختار أحد الطريقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [2] والانسان بهذا المفهوم مهيئ لأداء الأمانة في ضوء هداية الله ومن هنا كانت حاجته إلى الوحي الإلهي[3].أما الفكر الغربي فإنه يقول بعكس ذلك تماما ويرى أن طبيعة الانسان ليست في حاجة إلى توجيه إلهي، وأن الانسان قد وصل إلى مرحلة الرشد، فلم يعد في حاجة إلى وحي السماء ، وهذا كله باطل تماما، لأن الحضارة المادية قد قدمت إنجازات للإنسان في المجالات المختلفة الخاصة بأسلوب العيش، لكن سلبت منه الطمأنينة وعجزت عن أن تمده بأي تقدم في المفاهيم النفسية والاجتماعية والروحية والأخلاقية.

المطلب الثالث: النظام المعرفي في القران الكريم والتكامل الوظيفي بين العقل والنقل.

يدفع بعض المفكرين الغربيين وبعض الاسلاميين الى ان هنالك صراعا متجذر ومتوالد بين العقل والنقل او الوحي وهو ما انعكس على خطابات بعض مفكرينا حاليا الذين تأثروا بفلسفات خارجية وخارج اطارها الاسلامي او يمارسون بحوثهم تحت وطأة ما يتلقونه من ثقافات او افكار تدعي التمدن وتحديث العقل والواقع، والحقيقة

(١) علي عزت بيقوفيتش: الإسلام والغرب، ص١٩١.
(٢) سورة البلد الآية: ١٠.
(٣) أنور الجندي: سقوط العلمانية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، دون ط، ودون ت ص١٤٠.

انهم عاجزون عن ادراك تلك العلاقة المتبادلة الوظيفية بينهما لقصور التمييز والفصل بين مجالات كلا منهما بين هدايات الوحي وفعله وبين اطار ادراك العقل ونتاج فكره، وهو الداعي لهذا التوهم من الصراع بينهما، ولان طبيعة العقل تختلف تماما عن طبيعة الوحي فكيف يوضعان في مرتبة التقابل، لان العقل في حقيقته اداة اما الوحي فهو منهج لذا فالوحي يعطي منهج والعقل يجدول ويفصل ذلك المنهج لهذا ايجاد تلك المعضلة الفكرية هو من اصله خطا في المنهج الفكري لهؤلاء.

واذا بالإمكان للفلسفة ان تطرح هذا السؤال فانه في الاسلام لا مجال لطرح هذا السؤال كون النصوص الدينية لا تطرح اي اشكالية لو فهمت المسالة في سياقها النصي لا في سياقها التاريخي، فلا يوجد في نصوص الوحي ما يمنع من قبول ادراكات العقل بل نرى ان الفريضة الدينية تحتم وتلزم بالتطبيقات الواقعية للأحكام والقيم الدينية من خلال اجتهادات العقل وان تجعل قواعد الشرع ضوابط لحركة العقل. لهذا نرى الاسلام نظم العقل والنقل بوصفهما ما دخل للمعرفة بصورة جادة ومعاصرة ومحكمة وهو ما لم تعرفه اي من الفلسفات الدينية والوضعية السابقة فلم يكن الوحي في الاسلام مناقضا للعقل ولكنه جاء لينقي ويخلص ويشذب العقل من تناقضاته ويحرره من شكه ويهديه إلى اليقين[1]، ونخلص من هذا ان العقل المتزن ميزان صحيح فيما يتعلق بما هو منوط بالبحث فيه لكنه قاصر وعاجز عن ادراك كنه الاشياء بذاته وهذا لا يقدح في كونه ميزان معتبر.

اما اذا افترضنا تضاد وتناقض بين الرؤية الدينية للمعرفة والرؤية العقلية فهذا ليس مرده الى اخفاق الدين او العقل في ادراك المعرفة بصورتها الجلية، بل يرجع الى وجود خلل في منهجية تطبيق القواعد بسبب مؤثرات ذاتية او موضوعية قد نكتشفها عندما

(١) الحارث المحاسبي، العقل وفهم القران تحقيق حسين القوتلي، دار الكندي بيروت ط٣ ص ١٢٠.

نتجرد للبحث عن الحقيقة ونتخلى عن الفلسفية او الميول الذاتية التي تدفعها لتوهم التناقض، لذلك لا دين يستمر ويجد القبول بلا عقل ولا عقل متزن بلا دين فالوحي والعقل في الرؤية القرآنية للمعرفة متكاملان في الكشف عن الحقيقة وبيانها وتفسيرها.

ولان العقل الانساني يعمل بصورة ذاتية وبالهام الهي على استمرارية الاجتهاد والبحث عن مدراك معرفية فمن الطبيعي ان يلتقي مع الوحي والدين في ضوء هذه المسيرة لاكتشاف المجهول وتوسعة المدارك واذا كان العقل يستهدي بمعطيات الحواس ومعطيات الحاجة فان الوحي هنا بامتلاكه كليات الامور سيكون سندا للعقل وهاديا له يمده بالنور اللازم لاختصار الوقت وبلوغ المرام في مسيرة بحثه عن ذاته وحقيقة وجود الوجود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]

إذا تكلمنا عن ماهية كلّ منهما فسيبدو لنا عدم وجود تقاطع بينهما، إذ الأولى ملكة مخلوقة في الإنسان، والثاني كلام الله تعالى أنزله لعباده ليكون لهم هاديا، وقائدا نحو حياة موفقة وآخرة سعيدة، لكنّ النظر المدقق يوصلنا إلى إدراك علاقة وجودية بينهما، إذ أنّ الوحي جعله الله تعالى نافذة يخلص من خلالها العقل إلى فهم الوجود، وإدراك غايته، والانطلاق من خلاله إلى عالمي الشّهادة والغيب للإفادة منهما مما يقيم نظام الحياة، ويدفعها إلى الأحسن دوما، كما أنّ الوحي لا بدّ لفهمه من عقل نيّر، قادرا على استنباط مكامن الخير والصّلاح فيه من جهة، وعلى تنزيله في واقع الحياة ليغدو منهجا لها من جهة

(١) النور: الآية ٣٥.

أخرى على اعتبار أنّ الله جعل نصوص الوحي أوعية ذات قدرة لا متناهية على استيعاب الفهوم والمعاني المتجدّدة، ويفسّر ذلك أهلية القرآن لقيادة البشرية إلى قيام السّاعة. يقول عبد المجيد النجّار: « ويتحصّل مِا تقدّم أنّ الغاية الوجودية للإنسان، والمنهاج المؤدّي إليها اختصّ بالإرشاد إليهما الوحي الإلهيّ، وأوكلت مهمّة الفهم والإنجاز فيهما إلى العقل البشري، وهو التكليف الذي رتبت عليه المثوبة في حالة الفوز، والعقوبة في حالة الخسران».[1]

كما أنّ ترتيب التكليف الذي احتوته نصوص القرآن والسّنة على العقل دليل آخر على العلاقة الوطيدة بين العقل والوحي، إذ أنه لا يفهم التكليف، ولا تدرك مقاصده إلّا بالعقل، كما لا يكلف بالتشريعات إلّا العاقل الذي يقدر على استيعاب الخطاب الإلاهيّ المنظم لحياته وعلاقاته، ليكون وجود العقل لازمة من لوازم الانتفاع بالقرآن، ويكون الوحي لازمة من لوازم اهتداء العقل إلى الحقّ.

وقد أخذت هذه العلاقة حيزا من اهتمام الفكر الإسلاميّ، بين من ينكر هذه العلاقة سواء مِن غلبوا الوحي إلى درجة إلغاء العقل، أو الذين غلبوا العقل إلى درجة تقزيم دلالات الوحي أو إبعاده عن مجالات الحياة، خاصّة المعاصرة، وبين هؤلاء وهؤلاء بقيت هذه الثنائية بين الأخذ والرد، بينما الواقع يفرض معالجة جادّة لهذه الإشكالية، بتوضيح ما يؤدّي إلى السّداد، وإلى تفعيل هذه العلاقة بما يعطي الوحي من قومية، ومرجعية عليا، وللعقل من قدرة على الاستنباط والفهم والتنزيل، بدل انقسام المفكّرين المسلمين في جدل عقيم لا يزيد واقعهم إلّا تعفّنا وحياتهم إلّا بعدا عن روح الوحي وصفاء العقل.

(١) عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص٢٩٣٠.

والتاريخ في الحقيقة هو المرآة العاكسة للماضي في الحاضر حتّى نستشرف منها للمستقبل، إذ لو رجعنا إلى عهد المسلمين الأوائل لوجدنا أنّهم أدركوا دون فلسفة هذه العلاقة، وقاموا بتفعيلها فكانت عقولهم وقلوبهم في ترقب دائم لجديد الوحي، وتلقّيه بالاستيعاب والتطبيق فهما وتنزيلا، ولنا في نساء الأنصار خير عبرة، لما نزلت آية الحجاب شققن مرطهنّ واسترن بها، لإدراكهنّ أنّ كلّ ما يأتي من عند الله لا بدّ أن يقابل بالتطبيق الفوري، لليقين – الذي نفتقد إليه– أنّ الخير كلّ الخير في الأوامر الإلاهية المتنزلة إليهم بالوحي، وحري بالأمّة الإسلامية أن تعتبر بهذه المواقف، خاصّة وهي على يقين أنّها مواقف أنتجت جيلا من العلماء العاملين، ورعيلا من المؤمنين المخلصين الذين حفظوا الدّين وبلغوه للعالمين خير تبليغ، لكن عندما تجزأت هذه الثنائية وضاعت حقيقة العلاقة بين طرفيها، تقطعت أوصال الأمّة، وضاع منها الرشد، وفقد الكتاب معناه، كما جاء في الحديث الذي حذّر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من يرفع العلم، لما رواه زياد بن لبيد رضي الله عنه قال: "ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال وذاك عند أوان ذهاب العلم قال قلنا يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة قال ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا ينتفعون مِما فيهما بشيء "[1]، وأرى أنّ تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم متعلق بضياع العلاقة الوطيدة بين العقل والوحي، ودليل ذلك جوابه على استفهام زياد بن لبيد، الذي بدا عليه الاستغراب والدّهشة وهو حال كلّ الحاضرين، فكان ردّ الرسول صلى الله عليه وسلم من الواقع الذي يعايشونه ويعرفونه، بذكر أحوال أهل الكتاب الذين فقد كتابهم

(١) مسند الامام احمد، دار احياء التراث العربي ١٩٩٣م، رقم ١٧٠١٩.

معانيه، أي فقد تأثيره في الحياة، وهو تأثير مرهون بمدى فهم الكتاب، وترجمة هذا الفهم إلى سلوك حياة منبعث منه وراجع إليه[1].

ولن تتأتى هذه العلاقة إلّا بفتح باب الاجتهاد، المبني على النظر والاستنباط بما يُكسِب الإنسان القدرة على اقتحام العصر، ومواجهة تغيّرات الزمان والمكان بالوحي الذي ينتج لدينا وعيا يزوّده بالطاقة الإبداعية التي تجعله يستوعب الماضي، ويحلل الحاضر، ومن ثمّ يصل إلى نحت المستقبل وفق نظرة متجدّدة لا تسعى إلى تكرار صور الماضي، إنّما تهدف إلى إبداع صور جديدة للمستقبل.

(١) المعرفة الإنسانية/ عبد الحليم الالوسي، بحث منشور في مجلة البوابة الجزائرية للنشر، ص ١٤.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين..

فإن ما كتب في هذا البحث هو محاولة في باب من أبواب العلم الكثيرة، ومساهمة من المساهمات العلمية التي قد يعتريها العجز والتقصير، ويصيبها الزلل واللغط، وتفتقر إلى التصويب والتسديد، ذلك أن العلم عزيز، لا يستطيع أحد أن يدعي أنه حاز أطرافه، وأمسك بتلابيبه، واستولى على معاقله، فمن الزلل أن يدعي الباحث ذلك أو يزعمه حتى زعماً.

وحسب الباحث أنه حاول محاولة يرجو أن يكون قد وفق ـ ولو بعض الشيء ـ في سبيل الإسهام المعرفي في تناول قضية ربما قد تغيب في أفلاك الكثير من الناس، هذه القضية المتمثلة في حقيقة، المعرفة وعلاقة العقل والوحي وكيف أمر القرآن بإعمال العقل في المسارات العلمية المختلفة، التي يحتاجها المسلم كفرد، ويحتاجها المجتمع كأمة مسلمة، ويحتاجها العالم كفرضية للتطور والتجديد والابتكار، ومن ثم إبراز الدور الفعلي لإعمال العقل المسلم في مناحي الحياة كلها، لمواجهة دعوات تعطيل العقل المسلم، وإيقافه عن العمل في تلك المسارات والمجالات الحياتية المختلفة.

أهم النتائج

١. يرى الفكر الغربي ان الطبيعة الانسانية ليست في حاجة الى توجيه الهي، وهذا ما اثر على سلب الطمانينة الروحية من القلوب وعجزت لذلك تلك العلوم عن ان تمده باي سكينة نفسية واجتماعية وروحية واخلاقية.

٢. الافتراض القائل بوجود تضاد وتناقض بين الرؤية الدينية للمعرفة والرؤية العقلية فليس مرده الى اخفاق الدين او العقل في ادراك المعرفة بصورتها الجلية، بل يرجع الى وجود خلل في منهجية تطبيق القواعد بسبب مؤثرات ذاتية او موضوعية قد نكتشفها عندما نتجرد للبحث عن الحقيقة ونتخلى عن الفلسفية او الميول الذاتية التي تدفعها لتوهم التناقض.

٣. لا دين يستمر ويجد القبول بلا عقل ولا عقل متزن بلا دين فالوحي والعقل في الرؤية القرآنية للمعرفة متكاملان في الكشف عن الحقيقة وبيانها وتفسيرها.

٤. بما ان العقل الانساني يعمل بصورة ذاتية وبالهام الهي على استمرارية الاجتهاد والبحث عن مدارك معرفية فمن الطبيعي ان يلتقي مع الوحي والدين في ضوء هذه المسيرة لاكتشاف المجهول وتوسعة المدارك ويكون سندا للعقل وهاديا له يمده بالنور اللازم لاختصار الوقت وبلوغ المرام في مسيرة بحثه عن ذاته وحقيقة وجود الوجود.

من لطائف الاستعمال القرآني ذكر (الرحمن) في موضع الغضب

رعد طالب كريم

ملخص البحث

إن من المشاهد التي بينها القرآن الكريم، وأحاطها بالتوضيح والكشف والبيان (غضب الرحمن سبحانه وتعالى) ومن لم تُنذره آيات القرآن، وتوقظ قلبه زواجر الرحمن، فهو في هذه أعمى وأضل سبيلا. وقد تنوعت صور غضب الرحمن في القرآن وتعددت ألوانها، فكان تصويرا مهولا، فلا تكاد تقف أمامه حتى ينخطف منك اللون، وتأخذك الرهبة. ومن هنا فقد آثرنا دراسة هذا الموضوع، وقد جاء على مبحثين وخاتمة، درس المبحث الأول: مفهوم الغضب المتعلق بالرحمن سبحانه وتعالى، ودرس المبحث الثاني: من صور الغضب الالهي (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا).وختم البحث بنتائج منها: أن غضب الخالق يختلف عن غضب المخلوق فالأول غضب الحكمة، والثاني غضب الحمية؛ والْغَضَب الَّذِي توجبه الحمية انْتِقَاض الطَّبْع بِحَال يظْهر فِي تغير الْوَجْه، وَالْغَضَب الَّذِي توجبه الْحِكْمَة جنس من الْعقُوبَة يضاد الرِّضَا، وَهُوَ الغضب الَّذِي يُوصف الله بِهِ. وأن السياق القرآني قرن بين الغضب وبين اسمه (الرحمن) في أكثر النصوص القرآنية. وأن من أكبر صور الغضب الالهي في القرآن هي بسبب ادعاء الولد والشريك والتطاول على الذات الالهية تعالى الله عما يصفون، والشرك أسوأ ما يتصف به العبد، وهو يعرض صاحبه لبغض الله ومقته، وإن جو الغضب والغيرة والانتفاض هو الذي يسود هذه المشاهد في القرآن.

From the subtleties of Quranic use :
The Mention of Rahman in Anger Site

Raad Talib Karim

One of the scenes that the Holy Qur'an surrounds with clarification and disclosure is the wrath of the almighty Allah. The person who is not warned by the Qur'an verses , or awakened by the Rahman rebuking then he is in the blind and misguided path . The wrath of Al Rahman is varied in images and colors i.e., the wrath has horrifying images that you can't stand it .The researcher investigates Al Raman's wrath and divides the study into two dimensions and a conclusion . The first dimension studies the concept of anger related to the almighty Allah, and the second one discloses some of the images of the divine anger. The wrath of the Creator is different from the wrath of the creature. The former is the wrath of wisdom which is shown in a form of punishment whereas the latter is an ardor anger which changes the person's character. The Qur'anic context makes a link between the two terms (Anger and Rahman) in most Qur'anic texts. And the greatest images of the divine anger is exemplified in polytheism which exposes the person to great hatred of Allah. So it may be said that the context of anger and jealousy is prevalent in these scenes of the Qur'an.

من لطائف الاستعمال القرآني

ذكر (الرحمن) في موضع الغضب

أ.د. رعد طالب كريم

كلية العلوم الاسلامية / جامعة ديالى

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد؛

فإن من توفيق الله تعالى بعباده أن يتمسكوا بكتابه ، ويأنسوا بكلامه ، فبه تسعد قلوبهم، وتشرق أرواحهم ، وما كان ذلك ليستقيم ويستديم ، الا بتوفيق من الله العلي العليم .

فما أجمل أن يعيش المؤمن مناجيا ربه ! ومن الذي يناجي ربه ولم يفرح ! ومن الذي وصل الى بساط قربه واشتهى أن يبرح ! ومن الذي عامله فلم يربح ! فما أعظم من أن نقضي ليلنا بقراءة القرآن ! وما أمتع أن نعيش لحظات مع مآدب الرحمن ! نعم إنه مأدبة الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله، وهو النور البين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد)[1].

ولاشك أن في هذا القرآن من الكنوز والدرر والعبر ما يجعل المرء في سعادة وهناء ، ولايتسنى هذا الخير الا لمن طلبه ، ولايمنح الا لمن أقبل عليه!

ومن المشاهد التي بينها القرآن الكريم ، وأحاطها بالتوضيح والكشف والبيان (غضب الرحمن سبحانه وتعالى) ومن لم تُنذره آيات القرآن ، وتوقظ قلبه زواجر الرحمن، فهو في هذه أعمى وأضل سبيلا !

(١) رواه ابن ابي شيبة :٦/ ١٢٥، رقم ٣٠٠٠٨ ، باب : في التمسك بالقرآن.

لقد تنوعت صور غضب الرحمن في القرآن وتعددت ألوانها ، فكان تصويرا مهولا ، فلا تكاد تقف أمامه حتى ينخطف منك اللون ، وتأخذك الرهبة !

إن القرآن ينتقل بك ومعك كل جارحة تتحرك ، يأخذ بمجامع قلبك الى أعالي السماء، ويهوي بك الى مكان سحيق لتجد نفسك بين الجبال الخاشعة ، فهل تطيق ما يطيقه الجبل من عظمة الله ؟

فهذه صورة الممسوخين قردة وخنازير من سخط الله وعذابه ! وهذه مشهد من رفعهم الله الى السماء ثم خفقهم على الأرض خفقا ! وهذه صورة من أعلن الرحمن عليه حربا ! انها صور لاتجدها في مكان آخر.

ومن هنا فقد آثرنا دراسة هذا الموضوع ، ومعنونين له بـ (من لطائف الاستعمال القرآني ذكر (الرحمن) في موضع الغضب) وقد جاء على مبحثين وخاتمة .

درس المبحث الأول : مفهوم الغضب المتعلق بالرحمن سبحانه وتعالى

ودرس المبحث الثاني : من صور الغضب الالهي (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا)

وختمنا البحث بخاتمة بينا فيها أهم النتائج.

نسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعنا به في الدنيا والآخرة ، إنه سميع مجيب .

المبحث الأول

مفهوم الغضب المتعلق بالرحمن سبحانه وتعالى

وقبل الخوض في بيان سبب اختيار هذا التركيب نعرج على معنى الغضب والرحمة أولا .

أولا : مفهوم الغضب :

قال ابن فارس: (الْغَيْنُ وَالضَّادُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ)[1]

وَقَالَ ابْن جني: (الْغَضَب مُشْتَقّ من غَضَبة الرّأس وَهِي جلدته: أَي صَار حَمْيُ قلبه إِلَى جلدَة رَأسه كَمَا قيل أَنِفَ: أَي حمي أَنفه غَضبا). [2]

وهذا المعنى في بيان غضب المخلوق ولاشك ! أما غضب الخالق سبحانه وتعالى فهو أمر مختلف ، بل لو قيل: (غضب مالك خازن النار) و (غضب غيره من الملائكة) لم يجب أن يكون مماثلا لكيفية غضب الآدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة [3]، حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه. فغضب الله أولى. [4]

إذن هناك فرق بين غضب المخلوق وهو غضب الحمية وبين غضب الخالق وهو غضب الحكمة ؛ فأَن الْغَضَب الَّذِي توجبه الحمية انْتِقَاض الطَّبْع بِحَال يظْهر فِي تغير

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤/ ٤٢٨ ، مادة : غضب

(٢) المخصص ، ابن سيده :٤/ ٧٨ ، مادة : الغضب

(٣) الاخلاط الاربعة : الصَّفْرَاء والسوداء والبلغم وَالدَّم ، وهي ماتركب الجسم منها. ينظر : فضائح الباطنية ، الغزالي:١/ ٤٤ ، والروح ، ابن القيم :١/ ١٧٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ، صدر الدين الحنفي :١/ ٣٧٢

الْوَجْه وَالْغَضَب الَّذِي توجبه الْحِكْمَة جنس من الْعقُوبَة يضاد الرِّضَا وَهُوَ الغضب الَّذِي يُوصف الله بِهِ[1]

يقول الإمام أحمد :(وَالْغَضَب والرضى صفتان لَهُ من صِفَات نَفسه لم يزل الله تَعَالَى غاضبا على مَا سبق فِي علمه أَنه يكون مِمَّن يعصيه وَلم يزل رَاضِيا على مَا سبق فِي علمه أَنه يكون مِمَّا يرضيه)[2]

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى .[3]

ثانيا : مفهوم الرحمن :

والرحمن صفة مشتقة من الرَحْمَةُ: وهي في اللغة : الرِقَّةُ والتعطُّفُ. والمرحمةُ مثلهُ. وقد رَحِمْتُهُ وترَحَّمْتُ عليه. وتراحَمَ القوم: رَحِمَ بعضُهم بعضاً.[4]

وَرَحْمَة الله عز وَجل تَامَّة وَعَامة ، والرَّحْمَة التَّامَّة : إِفَاضَة الْخَيْر على المحتاجين وإرادته لَهُم عناية بهم ، وَالرَّحْمَة الْعَامَّة : هِيَ الَّتِي تتَنَاوَل الْمُسْتَحق وَغير الْمُسْتَحق.

أما تَمامهَا فَمن حَيْثُ أَنه أَرَادَ قَضَاء حاجات المحتاجين وقضاها وَأما عمومها فَمن حَيْثُ شمولها الْمُسْتَحق وَغير الْمُسْتَحق وَعم الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَتَنَاول الضرورات والحاجات والمزايا الْخَارِجَة عَنْهُمَا فَهُوَ الرَّحِيم الْمُطلق حَقًا.[5]

---

(١) الفروق اللغوية ، أبو هلال : ١/ ١٣٠.

(٢) العقيدة رواية أبي بكر الخلال ، أحمد بن حنبل :١/ ١٠٩

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، صدر الدين الحنفي :١/ ٣٧٢.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري : ٥/ ١٩٢٩، مادة : رحم.

(٥) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، الغزالي : ١/ ٦٢ ــ ٦٣.

والرَّحْمَة لَا تَخْلُو عَن رقة مؤلمة تعتري الرَّحِيم فتحركه إِلَى قَضَاء حَاجَة المرحوم والرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزة عَنْهَا فلعلك تظن أَن ذَلِك نُقْصَان فِي معنى الرَّحْمَة فَاعْلَم أَن ذَلِك كَمَال وَلَيْسَ بِنُقْصَان فِي معنى الرَّحْمَة.(١)

أما أَنه لَيْسَ بِنُقْصَان فَمن حَيْثُ أَن كَمَال الرَّحْمَة بِكَمَال ثَمَرَتهَا وَمهما قضيت حَاجَة الْمُحْتَاج بكمالها لم يكن للمرحوم حَظّ فِي تألم الراحم وتفجعه وَإِنَّمَا تألم الراحم لضعف نَفسه ونقصانها وَلَا يزِيد ضعفها فِي غَرَض الْمُحْتَاج شَيْئا بعد أَن قضيت كَمَال حَاجته ، وَأما أَنه كَمَال فِي معنى الرَّحْمَة فَهُوَ أَن الرَّحِيم عَن رقة وتألم يكَاد يقْصد بِفِعْلِهِ دفع ألم الرقة عَن نَفسه فَيكون قد نظر لنَفسِهِ وسعى فِي غَرَض نَفسه وَذَلِكَ ينقص عَن كَمَال معنى الرَّحْمَة بل كَمَال الرَّحْمَة أَن يكون نظره إِلَى المرحوم لأجل المرحوم لَا لأجل الاسْتِرَاحَة من ألم الرقة .(٢)

والرَّحْمَن أخص من الرَّحِيم وَلذَلِك لَا يُسمى بِهِ غير الله عز وَجل ، والرحيم قد يُطلق على غَيره فَهُوَ من هَذَا الْوَجْه قريب من اسْم الله تعالى الْجَارِي مجْرى الْعلم وَإِن كَانَ هَذَا مشتقا من الرَّحْمَة قطعا وَلذَلِك جمع الله عز وَجل بَينهمَا فَقَالَ { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى }(٣) فَيلْزم من هَذَا الْوَجْه وَمن حَيْثُ منعنَا الترادف فِي الْأَسْمَاء المحصاة أَن يفرق بَين معنى الاسمين فبالحري أَن يكون الْمَفْهُوم من الرَّحْمَن نوعا من الرَّحْمَة هِيَ أبعد من مقدروات الْعباد وَهِي مَا يتَعَلَّق بالسعادة الأخروية فالرحمن هُوَ العطوف على الْعباد بالإيجاد أَولا وبالهداية إِلَى الْإِيمَان وَأَسْبَاب السَّعَادَة ثَانِيًا

(١) المصدر نفسه : ١/ ٦٣ ــ ٦٤.
(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، الغزالي : ١/ ٦٢ ــ ٦٤.
(٣) سُورَة الْإِسْرَاء : ١١٠.

وبالإسعاد فِي الْآخِرَة ثَالِثا والإنعام بِالنّظرِ إِلَى وَجهه الْكَرِيم رَابِعا.[1]

وبعد هذه المقدمة في مفهوم الغضب والرحمة فلماذا (غضب الرحمن) ؟

والجواب أن السياق القرآني كان له الأثر الأكبر في اختيار هذا التركيب ! فقد قرن الله سبحانه وتعالى بين غضبه وبين اسمه (الرحمن) في أكثر النصوص ! فلنلقي نظرة على هذه الآيات بشيء من التأمل !

فهذه سورة مريم جمعت من صور ذكر الرحمن في موطن الغضب مايدعوا للوقفة والتأمل ! وسنقف على بعض مشاهده على سبيل المثال لا الحصر !

فهذا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يخاطب أباه محذرا له من عصيان الرحمن حتى لايصيبه عذابه : {يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا }[2]

وهذه صورة أخرى فيها من صور الغضب ما يرعد القلوب فجاء النص حافلا بأدوات التوكيد والقسم لحشر هؤلاء الظالمين المشركين العتاة : {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا }[3]

وهذه صورة المنغمسين في الظلالة والمتوشحين بها وهم يحسبون أنهم الغالبون اغترارا بأنفسهم وإيهاما من شياطينهم ! هاهو الرحمن يمد لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر : {قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، الغزالي : ١/ ٦٢ / ٦٤.
(٢) سورة مريم : ٤٤ ـ ٤٥.
(٣) سورة مريم : ٦٨ ـ ٦٩

السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا }[1]

وهذه هي الجموع الخاشعة الواجفة المضطربة ! هاهي ذي لاتكاد تحملها الأقدام من الرعب والخوف : { يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا }[2]

كما يلفت نظرنا أن الآيات القرآنية التي ذكرت تهجم المشركين واتهامهم الخالق سبحانه وتعالى باتخاذ الولد سبحانه تعالى الله عما يصفون ، جاءت هذه الآيات في أغلبها مقترنة باسم الرحمن : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ }[3] ، وقوله: { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ }[4] ، وقوله : { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ }[5]

وصورة أخرى تبين لنا الصفوف الصامتة المترقبة في موقف الحشر العظيم { رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا}[6]

وبعد فلماذا (الرحمن) ؟ لإنه الاسم الذي اقترن بلفظ الجلالة (الله) ولايصح ان يطلق على غيره سبحانه {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

(١) سورة مريم :٧٥.
(٢) سورة طه:١٠٨ـ١٠٩.
(٣) سورة الانبياء :٢٦.
(٤) سورة الزخرف :١٩ ــ٢٠.
(٥) سورة الزخرف :٨١.
(٦) سورة النبأ :٣٧ ــ٣٨.

وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا}[1] وخصه البعض بكونه اسم الله الأعظم[2]

كما أن فيه دلالة : أتقوا غضب الحليم إذا غضب ، ومما يؤثر قولهم : (وَاحْذَرُوا غَضَبَ الْحَلِيمِ)[3]

قال ذا النون: (ثلاث من أعلام الخوف الورع عن الشبهات بملاحظة الوعيد، وحفظ اللسان من مراقبة النظر العظيم، ودوام الكمد إشفاقا من غضب الحليم)[4]

وفيه إشارةُ أن هناك فسحة من الرحمة قائمة رغم شدة الغضب {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ }[5]

وهنا لابد من المسارعة الى التوبة ، والمبادرة الى العمل الصالح ففيهما النجاة وفيهما الخير والفلاح : { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى }[6]

ومن هنا يظهر لنا لطف التركيب ودقة الصياغة بين صفة (الرحمن) وبين (الغضب) ففيه دلالات متعددة ومعاني كثيرة وبلاغة متناهية .

---

(١) سورة الإسراء : ١١٠.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى ، الزجاج :١/ ٢٥.

(٣) التبصرة ، ابن الجوزي :١/ ١٥٩

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم الأصبهاني:٩/ ٣٦١ ، وشعب الإيمان ، البيهقي: ٢/ ٣٠٨ ، رقم: ٩٧٥ ، باب الخوف من الله تعالى.

(٥) سورة الحجر:٥٠.

(٦) سورة طه:٨٢.

المبحث الثاني

من صور الغضب الالهي (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا)

ها نحن نقف أمام أحد أعظم مشاهد الغضب الإلهي على البشر ، إنه مشهد يستدعينا للتأمل كثيرا ، ويدفعنا لاستنهاض كل الجوارح تفاعلا معه ! كيف لا وقد تفاعلت واستنهضت السماوات العلى وارتعبت الأرض وكادت الجبال أن تخر هدأ ! فياله من جرم كبير ! وياله من خطر محدق !

إنها آيات قليلة ، ولكنها تحمل بين ثناياها حملا ثقيلا لاتطيقه الجبال ، فأي ذنب ارتكبوا ؟ وأي شنيعة فعلوا ؟ {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}[1]

إن جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو: جو الغضب والغيرة والانتفاض! وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية، والمساس بقداسة الذات العلية، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عند ما يغضب الإنسان للمساس بكرامته أو كرامة من يحبه ويوقره.[2]

(١) سورة مريم : ٨٨ ـ ٩٥.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب :٤/ ٢٣٢٠.

ولسائل أن يسأل عن سر هذا الغضب ، وله أن يفكر عن الأمر العظيم الذي أغضب الرحمن فانتفض جنوده من كل فج ومكان ، من كل أرض وسماء ! مالذي أغضب الرحمن؟ من تجرأ عليه ؟

إنه إنسان حقير ! أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة[1]! {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا} روي عن بعض الصحابة أنه قال : (كان بنو آدم لا يأتون شجرة إلا أصابوا منها منفعة، حتى قالت فجرة بني آدم: اتَّخذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً، فاقشعرّت الأرض وهلك الشجر)[2]

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا } فمن الذي قال ؟ وفي أي زمان قاله ؟

لقد توالى جحود الانسان لخالقه ، وقد تمكن الشيطان من أصحاب النفوس المريضة على حقب متتالية ..

هاهم اليهود والنصارى يتجرءون على الله : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[3]

انهم يضاهئون قول الذين كفروا : { أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ *وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ

(١) النص مقتبس من رواية مطرف بن عبد الله بن الشخير عندما رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرتك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك. ينظر : تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ، السمرقندي : ١/ ١٨٥ ، وإحياء علوم الدين ، الغزالي: ٣/ ٣٤٠

(٢) بحر العلوم ، السمرقندي:٢/ ٣٨٧

(٣) سورة التوبة :٣٠ ــ ٣١.

لَكَاذِبُونَ}[1]

{ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }[2]

{وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}[3]

{وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ }[4]

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ }[5]

سبحانك ربي ما ألطفك ! سبحانك ربي ما أحلمك !

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } أي عقل تحملون ؟ أي شناعة تدعون؟

إن هؤلاء المتخبطين لم يكتفوا بنسبة الولد الى الله تعالى عما يقولون ! وإنما اختاروا له من الولد البنات وفق رؤيتهم القاصرة بتفضيل البنين على البنات ! يالسفاهة منطقهم ! ويا لزيغ أفكارهم ! فهل شهدوا خلق الملائكة حتى عرفوا انهم إناثا ؟ سبحان الله عما يصفون.

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا } انها مقولة اليهود، والنصارى، ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله[6].

---

(١) سورة الصافات : ١٥١ ــ ١٥٢.

(٢) سورة يونس :٦٨.

(٣) سورة الكهف :٤ــ٥.

(٤) سورة البقرة:١١٦.

(٥) سورة الانبياء :٢٦.

(٦) ينظر: التفسير الكبير ، الرازي:٢١/ ٥٦٦ ، وفتح القدير ، الشوكاني:٣/ ٤١٥

{لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا } لَقَدْ جِئْتُمْ شيئاً عظيماً من الكفر.

وَالْإِدُّ كَمَا قَالَ أبو عبيدة: (الأمر المتناهي العِظَم).[1]

وَالْإِدُّ كَمَا قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: (الدَّاهِيَةُ وَالْأَمْرُ الْفَظِيعُ، وَكَذَلِكَ الْأَدَّةُ، وَجَمْعُ الْأَدَّةِ إِدَدٌ، يُقَالُ: أَدَّتْ فلانا الداهية تؤدّه أدا بِالْفَتْحِ).[2]

وقَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ : (الْإِدُّ وَالْأَدُّ الْعَجَبُ وَقِيلَ الْمُنْكَرُ الْعَظِيمُ وَالْأَدَّةُ الشِّدَّةُ وَأَدَّنِي الْأَمْرُ وَآدَنِي أَثْقَلَنِي).[3]

وما تكاد الكلمة النابية تنطلق: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا } حتى تنطلق كلمة التفظيع والتبشيع: {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا } ثم يهتز كل ساكن من حولهم ويرتج كل مستقر، ويغضب الكون كله لبارئه. وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته وتجافي ما وقر في ضميره وما استقر في كيانه وتهز القاعدة التي قام عليها واطمأن إليها: * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا }.[4]

إنه مشهد كبير بحق ! إنها صورة مفزعة ! {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} فهؤلاء بعض جنوده سبحانه !

{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ} وَالِانْفِطَارُ: مِنْ فَطَرَهُ إِذَا شَقَّهُ وَالتَّفَطُّرُ مِنْ فَطَّرَهُ إِذَا شَقَّقَهُ[5]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي :٣/ ١٤٨. وفتح القدير ، الشوكاني:٣/ ٤١٥

(٢) فتح القدير ، الشوكاني:٣/ ٤١٥

(٣) التفسير الكبير ، الرازي:٢١/ ٥٦٦

(٤) ينظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب:٤/ ٢٣٢٠

(٥) ينظر: التفسير الكبير ، الرازي:٢١/ ٥٦٦

{وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ} أي: تنكسر كسرا.وقيل:تنشق الْأَرْضُ أَيْ تَنْخَسِفُ بِهِمْ[1].

{وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا } أَيْ : تتساقط أشد ما يكون تساقط البعض على البعض.[2]

قال الشوكاني: (وتخر الجبال أي: تسقط وتنهدم).[3]

والهد: هدم البناء. وانتصب هدا على المفعولية المطلقة لبيان نوع الخرور، أي سقوط الهدم، وهو أن يتساقط شظايا وقطعا.[4]

ان هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السماوات والأرض والجبال. والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة الزلزلة والارتجاف.[5]

والكلام جار على المبالغة في التهويل من فظاعة هذا القول بحيث أنه يبلغ إلى الجمادات العظيمة فيغير كيانها.[6]

فإن قيل من أين يؤثر القول بإثبات الولد لله تعالى في انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال؟ قلنا فيه وجوه[7]:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى يقول أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي وأني لا أعجل بالعقوبة كما قال: { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي :٣/ ٢٥٢.
(٢) ينظر: التفسير الكبير ، الرازي:٢١/ ٥٦٦
(٣) فتح القدير ، الشوكاني:٣/ ٤١٥
(٤) ينظر: التحرير والتنوير ، ابن عاشور:١٦/ ١٦٩
(٥) ينظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب:٤/ ٢٣٢٠
(٦) ينظر: التحرير والتنوير ، ابن عاشور:١٦/ ١٦٩
(٧) ينظر: التفسير الكبير ، الرازي:٢١/ ٥٦٦

بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً }. (١)

وثانيها: أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده.

وثالثها: أن السموات والأرض والجبال تكاد أن تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول ، وهذا تأويل أبي مسلم.

ورابعها: أن السموات والأرض والجبال كانت سليمة من كل العيوب فلما تكلم بنو آدم بهذا القول ظهرت العيوب فيها .

{ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا } وَالدُّعَاءُ بِمَعْنَى التَّسْمِيَةِ، أَيْ: سَمَّوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، أَوْ بِمَعْنَى النِّسْبَةِ، أَيْ: نَسَبُوا لَهُ وَلَدًا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ}(٢)، وَمِنْهُ يُقَالُ: ادَّعَى إِلَى بَنِي فُلَانٍ، أَيِ انْتَسَبَ (٣)

{وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا } أَيْ: لَا يَصْلُحُ لَهُ وَلَا يَلِيقُ بِهِ لِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْوَلَدَ يَقْتَضِي الْجِنْسِيَّةَ وَالْحُدُوثَ،(٤)

قال ابن الجوزي : (ما يصلح له، ولا يليق به اتخاذ الولد، لأن الولد يقتضي مجانسة، وكل متخذ ولداً يتخذه من جنسه، والله تعالى منزَّهٌ عن أن يجانس شيئاً، أو يجانسه، فمحال في حقه اتخاذ الولد) (٥)

{إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}

فما من معبود لهم في السموات والأرض من الملائكة والناس إلا وهو يأتي، الرحمن أي

(١) سورة فاطر: ٤١.
(٢) سورة الْأَحْزَاب: ٥.
(٣) ينظر: فتح القدير ، الشوكاني:٣/ ٤١٥
(٤) ينظر: المصدر نفسه:٣/ ٤١٥
(٥) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي :٣/ ١٤٨

يأوي إليه ويلتجئ إلى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا راجيا كما يفعل العبيد، ومنهم من حمله على يوم القيامة خاصة والأول أولى لأنه لا تخصيص فيه .[1]

وتكرير اسم الرحمن في هذه الآية أربع مرات إيماء إلى أن وصف الرحمان الثابت لله، والذي لا ينكر المشركون ثبوت حقيقته لله وإن أنكروا لفظه، ينافي ادعاء الولد له لأن الرحمان وصف يدل على عموم الرحمة وتكثرها. ومعنى ذلك: أنها شاملة لكل موجود، فذلك يقتضي أن كل موجود مفتقر إلى رحمة الله تعالى، ولا يتقوم ذلك إلا بتحقق العبودية فيه. لأنه لو كان بعض الموجودات ابنا لله تعالى لاستغنى عن رحمته لأنه يكون بالبنوة مساويا له في الإلهية المقتضية الغنى المطلق، ولأن اتخاذ الابن يتطلب به متخذه بر الابن به ورحمته له، وذلك ينافي كون الله مفيض كل رحمة.[2]

فَذِكْرُ هَذَا الْوَصْفَ عِنْدَ قَوْلِهِ: { وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً } وَقَوْلِهِ { أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً } تَسْجِيلٌ لِغَبَاوَتِهِمْ.

وَذِكْرُهُ عِنْدَ قَوْلِهِ: { وَما يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً }إِيمَاءٌ إِلَى دَلِيلِ عَدَمِ لِيَاقَةِ اتِّخَاذِ الِابْنِ بِاللَّهِ.

وَذِكْرُهُ عِنْدَ قَوْلِهِ: { إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً } اسْتِدْلَالٌ عَلَى احْتِيَاجِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ إِلَيْهِ وَإِقْرَارِهَا لَهُ بِمُلْكِهِ إِيَّاهَا.[3]

{لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } أي كلهم تحت أمره وتدبيره وقهره وقدرته فهو سبحانه محيط بهم، ويعلم مجمل أمورهم وتفاصيلها لا يفوته شيء من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين

(١) ينظر: التفسير الكبير ، الرازي:٢١/ ٥٦٦

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ، ابن عاشور:١٦/ ١٦٩

(٣) ينظر: المصدر نفسه:١٦/ ١٦٩

أحد وهم براء منهم.[1]

قال ابن عاشور : (ومعنى { وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً } إبطال ما لأجله قالوا اتخذ الله ولدا، لأنهم زعموا ذلك موجب عبادتهم للملائكة والجن ليكونوا شفعاءهم عند الله، فأيأسهم الله من ذلك بأن كل واحد يأتي يوم القيامة مفردا لا نصير له كما في قوله في الآية السالفة: {ويأتينا فردا} وفي ذلك تعريض بأنهم آتون لما يكرهون من العذاب والإهانة إتيان الأعزل إلى من يتمكن من الانتقام منه.).[2]

وإن الكيان البشري ليرتجف وهو يتصور مدلول هذا البيان.. { لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا} فلا مجال لهرب أحد ولا لنسيان أحد { وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً} فعين الله على كل فرد. وكل فرد يقدم وحيدا لا يأنس بأحد ولا يعتز بأحد. حتى روح الجماعة ومشاعر الجماعة يجرد منها، فإذا هو وحيد فريد أمام الديان.[3]

إذن فالحقيقة الباقية الخالدة أن الدنيا دار بلاء واختبار ! وأن الباطل مهما استطال فلابد لليل أن يعقبه النهار ! وقد وعد الله أن يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون.

(١) ينظر: التفسير الكبير ، الرازي:٢١/ ٥٦٦

(٢) التحرير والتنوير ، ابن عاشور :١٦/ ١٦٩

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب:٤/ ٢٣٢٠.

الخاتمة

بعدما تقدم لنا من مشاهد وصور وتأملات عن غضب الرحمن يمكن لنا أن نخرج ببعض النتائج والتي نلخصها بما يأتي:

أولا : أن غضب الخالق يختلف عن غضب المخلوق فالأول غضب الحكمة ، والثاني غضب الحمية ؛ والْغَضَب الَّذِي توجبه الحمية انْتِقَاض الطَّبْع بِحَال يظْهر فِي تغير الْوَجْه ، وَالْغَضَب الَّذِي توجبه الْحِكْمَة جنس من الْعقُوبَة يضاد الرِّضَا ، وَهُوَ الغضب الَّذِي يُوصف الله بِهِ

ثانيا : ان رَحْمَة الله عز وَجل تَامَّة وَعَامة ، والرَّحْمَة التَّامَّة : إفَاضَة الْخَيْر على المحتاجين وإرادته لَهُم عناية بهم ، وَالرَّحْمَة الْعَامَّة : هِيَ الَّتِي تتَنَاوَل الْمُسْتَحق وَغير الْمُسْتَحق.

ثالثا : أن السياق القرآني قرن بين الغضب وبين اسمه (الرحمن) في أكثر النصوص القرآنية.

رابعا : ان من أكبر صور الغضب الالهي في القرآن هي بسبب إدعاء الولد والشريك والتطاول على الذات الالهية تعالى الله عما يصفون ، والشرك أسوأ ما يتصف به العبد ، وهو يعرض صاحبه لبغض الله ومقته ، وإن جو الغضب والغيرة والانتفاض هو الذي يسود هذه المشاهد في القرآن.

وأخيرا : فإن من كان دأبه طاعة الله وطاعة رسوله ، فهذا عسى أن يكون ممن يحبه الله، ومن كان دأبه معصية الله ومعصية الرسول ، فهذا حقيق ببغض الله وغضبه .

نسأل الله تعالى العفو والعافية وأن يجنبنا غضبه ومقته انه سميع مجيب ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم

١. إحياء علوم الدين ، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة ، بيروت .

٢. بحر العلوم ، السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٣٧٣هـ) ، (د.ت).

٣. التبصرة لابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٤. تفسير أسماء الله الحسنى ، الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (ت ٣١١هـ) ، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية.

٥. التفسير الكبير، الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط٣، ١٤٢٠ هـ .

٦. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ، السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٣٧٣هـ) ، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي ، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ، ط٣، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م

٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر، ١٣٩٤هـ -

١٩٧٤م.

٨. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٩. زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢ هـ .

١٠. شرح العقيدة الطحاوية ، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ) ، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ط١، ١٤١٨ هـ .

١١. شعب الإيمان ، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت ٤٥٨هـ) ، حققه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، أشرف على تحقيقه: مختار أحمد الندوي، ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٣. العقيدة رواية أبي بكر الخلال ، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ) ، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان ، دار قتيبة ، دمشق ، ط١، ١٤٠٨ .

١٤. فتح القدير ، الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت ١٢٥٠هـ)

، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت ، ط١، ١٤١٤ هـ.

١٥. الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر.

١٦. فضائح الباطنية ، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت .

١٧. في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) ، دار الشروق ، بيروت، القاهرة ، ط١٧، ١٤١٢ هـ .

١٨. المخصص ، ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق: خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٩. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ) ، المحقق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١، ١٤٠٩.

٢٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت ٥١٠هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ

٢١. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٢. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ) ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، الجفان والجابي - قبرص ، ط١، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

وسائل ادراك الاعجاز البياني في القرآن الكريم ومقاصده
- تفسير ابن باديس انموذجاً
الأستاذ رمضان أولا دبلة

ملخص البحث

يتحدث البحث عن الاعجاز البياني في القرآن الكريم والوسائل التي يمكن إدراك الاعجاز بها. وحدد هذه الوسائل لدى علماء التفسير متخذاً (ابن باديس) أنموذج للدراسة، و قد انتهج الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي مقدما بحثه بترجمة لحياة المؤلف خاتما بحثه بنتائج منها: إن وسائل إدراك الإعجاز البياني للقرآن تكون بـ: بيان سبب النزول، ومعاني المفردات، والتراكيب، وبيان المناسبة، وتأكيد الجمال الفني بالمعنى العام، وطرح الإشكالات وتقديم الأجوبة المقنعة، وتقريب المعاني بضرب الأمثلة، وجمع الآيات التي وردت فيها الكلمة الواحدة من حيث المبنى مع بيان أوجه المعاني المتعدد لها، وبيان أوجه الجمع بين أمرين أو أكثر وتوجيه الترتيب، وبيان أوجه التقديم والتأخير، وربط النكت البلاغية بالحقائق النفسية والاجتماعية والعمران، والاهتمام بالقراءات القرآنية. وقد وظف ابن باديس الجمال الفني للكلمة القرآنية وغيرها من معارفه – الشرعية والنفسية والسياسية والاجتماعية- للتطبيق العملي الإصلاحي.

Means of Realizing the Declarative Miraculousness
in the Holy Qur'an and Its Purposes
Ibn Badis Interpretation as a Sample
Prof. Ramadan Ola Dibla

Abstract

The research deals with the miraculous meaning in the Holy Qur'an and the means by which miracles can be realized. The researcher uses the analytical inductive method in searching the translation of the author's life ending his research with the following results : The means of understanding the miraculous declarative property of the Qur'an is done by clarifying the reasons of descending , meanings of vocabulary, structures, statement of the occasion, and affirm of the artistic beauty in the general meaning. Furthermore ,there should be a statement of the problem with convincing and collecting the verses in which the single word uttered with multiple meanings , and to show the aspects of the combination of two or more issues and guide their the arrangement, and the presentation of delays and submission.,etc.

وسائل إدراك الإعجاز البياني

في القرآن الكريم ومقاصده

- تفسير ابن باديس أنموذجاً-

أ. رمضان أول دبلة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أما بعد:

لقد اهتم الإمام عبد الحميد بن باديس في تفسيره ﴿مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير﴾ ببيان أوجه إعجاز القرآن الكريم: الإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والإعجاز الموضوعي، والإعجاز الغيبي؛ وذلك في غير ما موضع منه، ولقد أولى أهمية بالغة للبناء الفني للآية فيما يتعلق بتركيبها، ودقائقها البلاغية، وأسرارها البيانية.

وسبب اختياري لتفسير ابن باديس هو تطبيقه القواعد التي نحتاجها لفهم القرآن، - تلك الخطوة أولية للعمل به -، ومن تلك القواعد ما سجله رفيق دربه محمد البشير الإبراهيمي بقوله: (وفهم القرآن يتوقف - بعد القريحة الصافية، والذهن النير- على: التعمق في أسرار البيان العربي، والتفقه لروح السنة المحمدية المبينة لمقاصد القرآن، الشارحة لأغراضه بالقول والعمل، والاطلاع الواسع على مفهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة، ثم على التأمل في سنن الله في الكائنات، ودراسة ما تنتجه العلوم الاختبارية من كشف لتلك السنن وعجائبها).[1]

وكل هذه المواصفات قد رأيتها متحققة في درس ابن باديس التفسيري، بعد أن عشت مع تفسيره لمدة عامين أدرسه للناس في مسجد الإمام عبد الحميد بن باديس ﴿القنار، جيجل، الجزائر﴾.

هذه الورقة البحثية وسمت بـ « وسائل إدراك الإعجاز البياني في القرآن الكريم ومقاصده- تفسير ابن باديس أنموذجا» وقد انتظم تحت هذا العنوان المطالب الآتية:

(١) محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثَارُ الإمَام مُحَمَّد البَشِير الإبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط.٠١، (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م)، ج.٠٢، ص. ٢٥٠.

مطلب الأول: ترجمة مختصرة لابن باديس

المطلب الثاني: اهتمام ابن باديس بالإعجاز القرآني

المطلب الثالث: وسائل بيان الإعجاز البياني في القرآن الكريم

المطلب الرابع: مقاصد إدراك الإعجاز البياني للقرآن الكريم

وبعد هذه المقدمة التي توضح الإطار العام لهذه الورقة البحثية، أشرع في بيان المقصود، مستعينا بالله ومستمدا العون والتوفيق منه.

المطلب الأول: ترجمة مختصرة لابن باديس

ولد عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس في سنة ١٣٠٨ه (ديسمبر ١٨٨٩م) فكان الولد البكر لأبويه، وأسرته أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم والثراء والجاه.

أتم حفظ القرآن في السنة الثالثة عشرة من عمره على الشيخ محمد المداسي، وتلقى مبادئ العربية والمعارف الإسلامية على يد الشيخ أحمد أبو حمدان لونيسي، وفي سنة ١٩٠٨م رحل إلى تونس وانتسب إلى جامع الزيتونة ليتلقى العلم على يدي جماعة من كبار علماء الزيتونة أمثال العلامة المفكر محمد النخلي القيرواني، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ الخضر بن الحسين الجزائري، وغيرهم كثير.

لما أتم دراسته في جامع الزيتونة وتخرج بشهادة التطويع (سنة ١٩١١ - ١٩١٢ م). عاد إلى بلده، فدّرس بالجامع الكبير، وحاك أعداؤه المكائد ضده، فرحل إلى المشرق وحج، ولقي في رحلته جماعة من العلماء. وعاد سنة ١٩١٣ فأقام يعلم النشىء الجزائري ويعده من أجل المستقبل وفق منهجية علمية هادفة.

وفي سنة ١٩٢٦ أصدر جريدة «المنتقد» ولكنها لم تعمر طويلا، فقد عطلتها السلطات الاستعمارية بعد أن صدر منها ١٨ عددا، فأصدر بعدها (١٩٢٦) مجلة «الشهاب» وقد

صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدا تعد سجلا حافلا لتاريخ الجزائر ونهضتها الحديثة فيما بين الحربين الأولى (١٩١٤) والثانية (١٩٣٩). وأصدر- فيما بعد- صحفا أخرى كـ «الشريعة» و«السنة المحمدية» و«الصراط» ولكنها أيضا لم تعمر طويلا. وكان شديد الحملات على الاستعمار الفرنسي، وحاولت الحكومة الفرنسية إغراءه ببعض المناصب فامتنع واستمر في جهاده، وقد امتد نشاطه إلى بقية المدن الجزائرية كوهران وتلمسان والجزائر العاصمة. وأنشأت جمعية العلماء المسلمين في أيام رياسته لها كثيرا من المدارس. توفي بقسنطينة مساء الثلاثاء ٨ ربيع الأول ١٣٥٩ه الموافق لـ ١٦ أفريل ١٩٤٠م.[1]

من آثاره «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» في التفسير، والذي اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما، والذي بين أيدينا إنما هو تفسير مجموعة من الآيات وليس كل القرآن الكريم، وطريقته التي سار عليها فيه أنه: (كان ينتخب آية أو آيات متعددة، ثم يذكر لها عنوانا يناسبها، وبعد ذلك يبدأ في التمهيد للآيات التي اختارها ذاكرا فضلها، وسبب نزولها والمناسبة إن وجدت والشروع بعدها بتفسير لغوي موجز، يحرص فيه على تحديد المفهوم اللغوي والاصطلاحي للكلمات والمفاهيم الرئيسة الواردة في المقطع الذي اختاره ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذكر المعنى الإجمالي للمقطع الذي يشرحه، وإذا كان للمقطع أكثر من وجه للإعراب فإنه يورد معناه حسب هذه الوجوه، وبعد ذلك تلي هذا المعنى الإجمالي عناوين فرعية خاصة بكل موضوع من موضوعات الآيات، وفي هذه العناوين الفرعية بالذات يشرع ابن باديس بربط هداية القرآن بمجتمعه مع ما يعاني به

(١) ينظر ترجمة ابن باديس: عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ط. خاصة، (الجزائر: دار المتعلم، ٢٠١٥م)، ج.٠١، ص. ٧٦- ١٢٢. محمد الصالح بن عتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ط.د، (الجزائر: منشورات دحلب، ت.د)، ص.١٦٧-١٨٤. عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائر - من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضر، ط.٠٢، (بيروت- لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م)، صَ.٢٨.

من مشكلات وأمراض).[1]

المطلب الثاني: اهتمام ابن باديس بالإعجاز القرآني

اهتم ابن باديس- رحمه الله تعالى- بفهم وتدبر القرآن الكريم، كما اهتم ببيان وجوه إعجازه غير ما مرة، وبعدة أساليب: فتارة ببيان الإعجاز الموضوعي للقرآن الكريم، وفي هذا يقول: (فيه من علم مصالح العباد في المعاش والمعاد، وبسط أسباب الخير والشر والسعادة والشقاوة في الدنيا والأخرى وعلم النفوس وأحوالها، وأصول الأخلاق والأحكام وكليات السياسة والتشريع وحقائق الحياة في العمران والاجتماع، ونظم الكون المبنية على الرحمة والقوة والعدل والإحسان . إلى ما تقصر عن عده الألسنة وتعجز عن الإحاطة به الأفهام، وإنما ينال كل تال منها على قدر ما عنده من سلامة قصد وصحة علم بتقدير وتيسير من الحكيم العليم).[2]

وتارة ببيان الإعجاز العلمي، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا}[3] قال:({فَمَحَوْنَا} المحو هو الإزالة: إزالة الكتابة من اللوح، وإزالة الآثار من الديار. فمحو «آيَةَ اللَّيْلِ» إزالة الضوء منها، وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل؛ فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً، ثم أزيل ضوؤه فصار مظلماً، وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس، واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر- كالأرض- كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمو والحرارة ثم برد، فكانت إضاءته في

(١) باي زكوب عبد العالي، تفسير عبد الحميد بن باديس: منهجه وخصائصه، مجلة الإسلام في آسيا- الجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا، ، العدد:٠٢، ديسمبر ٢٠١١م، المجلد. ٠٨، ص. ١٢٨.

(٢) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.١٤٠.

(٣) الإسراء: ١٢.

أزمان حموه وزالت لما برد.

لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية: ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم، وتقدموا في العرفان!!).[1]

وتارة أخرى ببيان الإعجاز التشريعي، ومن ذلك قوله: (من محاسن هذه الشريعة المطهرة، أنها نزلت بالتدريج المناسب، وكما كان في تحريم الخمر، وكما كان في العدد المفروض عليه الثبات للعدو في آيات الأنفال[2]. وكما كان في مشروعية قيام الليل في آيات سورة المزمل.[3] وما كان ليكون هذا التدريج بغير تفريق الآيات في التنزيل.

ومن محاسنها نسخ الحكم عند انتهاء المصلحة التي اقتضت تشريعه وانقضاء زمنها لحكم آخر أنسب منه للبقاء في الأزمان، كما كان في آيتي المتوفى عنها في سورة البقرة[4]، وما كان ذلك ليأتي إلاّ بتفريق الآيات في الإنزال.

وكانت الوقائع تقع، والحوادث تحدث، والشبه تعرض، والاعتراضات ترد .. فكانت الآيات تنزل بما تتطلبه تلك الوقائع من بيان، وما تقتضيه تلك الحوادث من أحكام، وما تستدعيه تلك الشبه من رد، وتلك الاعتراضات من إبطال، إلى غير ما ذكرنا

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، المرجع السابق، ج.٠١، ص.١٩١.

(٢) وهما الآيتان ٦٥ و٦٦ من سورة الأنفال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

(٣) وهو قوله تعالى في الآية ٢٠ من سورة المزمل: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ... }.

(٤) وهما الآيتان ٢٤٠ و٢٤١ من سورة البقرة: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ ... }.

من: مقتضيات نزول الآيات المعروفة بأسباب النزول.

وفي بيان الواقعة عند وقوعها، وذكر حكم الحادثة عند حدوثها، ورد الشبهة عند عروضها، وإبطال الاعتراض عند وروده- ما فيه من تأثير في النفوس، ووقع في القلوب، ورسوخ في العقول، وجلاء في البيان، وبلاغة في التطبيق، واستيلاء على السامعين.

وما كان هذا كله ليأتي لولا تفريق الآيات في التنزيل، وترتيلها وتنضيدها هذا الترتيل العجيب، وهذا التنضيد الغريب، الذي بلغ الغاية من الحسن والمنفعة، حتى أنه ليصح أن يعد وحده وجهاً من وجوه الإعجاز).[1]

وتارة ببيان الإعجاز البياني -وقد أكثر منه-، ففي خطبة افتتاح دروس التفسير قال: (الحمد لله الذي جمل الإنسان بالبيان، وجمل البيان بالقرآن، فالإنسان دون بيان حيوان أبكم، والبيان دون قرآن كلام أجذم).[2]

وفي بيان اختيار لفظ (خلفة) في قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}[3] يقول: (اختيرت لفظة الخلفة هنا، لدلالتها على الهيئة، فتكون منبهة على هيئة هذا الاختلاف، بالطول والقصر المختلفين في جهات من الأرض. وذلك منبه على أسباب هذا الاختلاف من وضع جرم الأرض وجرم الشمس، وذلك كله من آيات الله الدالة عليه، وبتلك الهيئة من الاختلاف المقدر المنظم عظمت النعمة على البشر، وشملتهم الرحمة، فكانت هذه اللفظة الواحدة منبهة على ما في اختلاف الليل والنهار من آية دالة، ومن نعمة عامة وهكذا جميع ألفاظ القرآن في انتقائها لمواضعها).[4]

ربط الإمام ابن باديس المصادر التي اعتمدها في تفسيره بتلك التي اعتنت بأوجه

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.٤٠٨-٤٠٩.
(٢) المرجع نفسه، ج.٠١، ص.١٥٨.
(٣) الفرقان: ٦٢.
(٤) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.٤٢٧.

إعجاز القرآن -خصوصا الإعجاز البياني- فقال عنها: (وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة:

١ - تفسير «ابن جرير الطبري»، الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.

٢ - وتفسير «الكشاف» الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب، واستعمالها في أفانين الكلام.

٣ - وتفسير «أبي حيان الأندلسي» الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه للقراءات.

٤ - وتفسير «الرازي» الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية، ومقالات الفرق، والمناظرة والحجاج في ذلك).[1]

ومن أوجد الإعجاز البياني في القرآني الكريم اللفظ القليل الذي يحتوي الكفاية وفوق الكفاية، ومن أمثلتها ما قاله وهو يتحدث عن أصول الهداية في ثمان عشرة آية في سورة الإسراء من الآية ٢٢حتى الآية ٣٩. :(فهذه ثمان عشرة آية من سورة الإسراء قد أتت في إيجاز ووضوح على أصول الهداية الإسلامية كلها. وأحاطت بأسباب السعادة في الدارين من جميع وجوهها.

وهي- فوق بلاغتها التي عرف العرب إعجازها بسليقتهم وأدركه علماء البيان بعلمهم ومرانهم- قد جاءت معجزة للخلق من أي جنس كانوا، أو بأي لغة نطقوا، بما جمعت من أصول الهداية التي تدركها الفِطَر وتسلمها العقول.

(١) المرجع نفسه، ج.٠١، ص.١٥٩.

وإنك لست واجداً مثلها في مقدارها وأضعاف مقدارها من كلام الخلق بجمع ما جمعت من هدى وبيان، وهذا أحد وجوه إعجاز القرآن العامة التي تقوم بها حجته على الناس أجمعين.)[1]

وإذا كان من وجوه إعجاز القرآن بلاغته، وناحيته العلمية، فمنها أيضا الناحية التاريخية، يقول الإمام ابن باديس: (القرآن أعجز العرب ببلاغته، حتى عرفوا- وعرف العلماء بلسانهم المرتاضين ببيانهم- أنه ليس مثله من طوق البشر. هذه هي الناحية الظاهرة في إعجاز القرآن والاستدلال به له ولمن أتي به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وهنالك ناحية أخرى هي أعظم وأعم: وهي ناحيته العلمية التي يذعن لها كل ذي فهم من جميع الأمم، في كل قطر وفي كل زمن، وهذه الناحية هي التي احتج بها في هذا الموطن:

فقد استدل على أن القرآن لا يمكن أن يكون أتى به محمد من عنده، ولا يمكن أن يستعين عليه بغيره، ولا أن يكون من أوضاع الأوائل، بأنه ينطوي على أشياء من أسرار هذا الكون لا يعلمها إلّا خالقه، فمن ذلك:

ما أنبأ به من أسرار الأمم الخالية، وبيّن من أسرار الكتب الماضية.

وما أنبأ من أحداث مستقبلة، وما ذكر من حقائق كونية، كانت لذلك العهد عند جميع البشر مجهولة؛ كالزوجية في كل شيء، وسبح الكواكب في الفضاء، وسير الشمس إلى مستقر مجهول معين عند الله لها.

وغير ذلك من أسرار العمران والاجتماع، وما تصلح عليه حياة الإنسان، مما تتوالى على تصديقه تجارب العلماء إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم.

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.٢٠٩.

فكتاب اشتمل على كل هذه الأسرار لا يمكن أن يأتي به مخلوق).[1]

المطلب الثالث: وسائل بيان الإعجاز البياني في القرآن الكريم

بيّن ابن باديس رحمه الله بشكل عام الطريقة التي يسير عليها في تفسيره بقوله: (تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية، وربط الآيات، بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك على صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمة السلف المتقدمون، أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون، رحمة الله عليهم أجمعين.)[2]

ومن الوسائل التي اعتمدها ابن باديس لبيان إعجاز القرآن البياني الآتي:

أولا: دقة وحسن اختيار العناوين

عنْوَنَ لثمان عشرة آية -من الآية:٢٢ حتى الآية:٣٩ - في سورة الإسراء بـ «أصول الهداية» ولثلاثين آية -من الآية ١٥ إلى الآية: ٤٤-، في سورة النمل بهذا العنوان: «ملك النبوة مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة».[3]

ثانيا: ذكر سبب النزول

لتجلية معنى الآية يبدأ ابن باديس بذكر سبب النزول -متى ما وجد إلى ذلك سبيلا-، ومن هذا القبيل قوله: (السابقون الأولون من المؤمنين في أول الإسلام بمكة مبغوضين من أهل مكة المشركين، مهجورين منهم، مزهوداً فيهم.

ومن أشد الألآم على النفس وأشقها أن يعيش الإنسان بين قومه مبغوضاً مهجوراً، مزهوداً فيه، خصوصاً مثل تلك النفوس الحية الأبية.

فأنزل الله هذه الآية تأنيساً لأولئك السادة، ووعداً لهم بأن تلك الحالة لا تدوم، وأنه

(١) المرجع نفسه، ج.٠١، ص.٣٧٥.
(٢) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص. ٣٣١.
(٣) المرجع نفسه، ج.٠٢، ص.٠٧.

سيجعل لهم وداً، فيصيرون محبوبين مرغوباً فيهم.

وقد حقق الله وعده: فكان أولئك النفر بعد، السادة المقدمين من أقوامهم وعشائرهم، لسبقهم وفضلهم. وكانوا- وهم قادة الجيوش في الفتوحات الإسلامية- المحبوبين هم وجيوشهم، المرغوب فيهم من الأمم التي فتحوها؛ لعدلهم ورحمتهم، ورفعهم لنير الاستعباد الديني والدنيوي، الذي كانت تئن تحته تلك الأمم.

وأثبت التاريخ أن بعض الأمم الأجنبية دعتهم إلى إنقاذها من أيدي رؤسائها.

فكانت هذه الآية من آيات الإعجاز بالإعلام بما يتحقق في الاستقبال مما هو كالمحال في الحال فكان على وفق ما قال).[1]

ثالثا: بيان معاني المفردات

فهم مفردات القرآن لها أهميتها البالغة في تدبر وفهم مردا الله منا، و(لأهمية ألفاظ القرآن الكريم في فهم نصوصه فقد أفردها العلماء بفن من أنواع علوم القرآن وهو (معرفة غريبه)، وعدوا معرفة هذا الفن ضرورية للمفسر، لأن عدم العناية بتدبر ألفاظ القرآن الكريم أوقع كثيرا من المفسرين في أخطاء شنيعة غير مقبولة).[2]

ذكر الإمام ابن باديس ثلاثة شروط لتفسير القرآن اعتمادا على الرأي المحمود وهي:

- أن تكون المعاني صحيحة في نفسها.
- أن تكون مأخوذة من التركيب القرآني أخذاً عربياً صحيحاً.
- أن يكون لهذه المعاني ما يشهد لها من أدلة الشرع.[3]

لا يكتفي ببيان المفردات بل ويبين علاقة المعنى اللغوي بالسياق القرآني، وليتضح

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص. ٣٣١.

(٢) محمد الدراجي، المنهج النقدي في التفسير عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، موقع ابن باديس: https: / /binbadis.net.

(٣) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، المرجع السابق، ج.٠٢، ص. ٣٣١.

هذا المعنى أسوق قوله في تفسير (فتقعد): (القعود ضد القيام، والعرب تكني بالقيام عن الجد في الأمر والعمل فيه سواء أكان العامل قائماً أو جالسا، فتقول: قام بحاجتي إذا جد وعمل فيها، ولو كان لم يمش فيها خطوة وإنما قضاها بكلمة قالها، أو خطاب أرسله. وتكني كذلك بالقعود عن الترك للعمل وانحلال العزيمة وبطلان الهمة سواء أكان الشخص واقفاً أو جالساً، فتقول: قعد زيد عن نصرة قومه إذا لم يعمل في ذلك عملاً، ولم تكن له فيه همة ولا عزيمة، ولو كان قائما يمشي على رجليه. فالقعود في الآية بمعنى المكث كناية عن بطلان العمل وخيبة السعي وخور القلب وفراغ اليد من كل خير.)[1]

رابعا: التراكيب

لكثرة النماذج أكتفي هنا بذكر هذا النموذج الذي حلل فيه ما يتعلق من مباحث لفظية بقوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[2]

يقول الإمام: ({عَلَى بَصِيرَةٍ} يتعلق بـ {أدعو}، واختيرت {على} لتدل على تمام التمكن و {أنا} تأكيد للضمير المستتر في {أدعو}، ونكتته الإعلان بنفسه في مقام الدعوة، وشأن الداعي على بصيرة أن يجهر بدعوته ولا يستسر بها، واتصال اللفظ الدال عليه باللفظ الدال على اتباعه كما تتصل بدعوته.

وشأن الصورة اللفظية مطابقة الصورة الخارجية والكلام تصوير للواقع.

{من} تفيد العموم لكل تابع، وأكملهم في الاتباع أكملهم في الدعوة؛ لأن الموصول يفيد التعليل بصلته، فهم يدعون لأنهم متبعون.

{سبحان} منصوب بفعل محذوف تقديره أسبح أي أنزه، والجملة معطوفة على جملة

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص. ٢١٠.
(٢) يوسف:١٠٨.

{أدعو}، فهي من بيان القبيل).[1]

خامسا: بيان المناسبة

يتجلى هذا في ربط الآية بالتي قبلها، والسورة بالتي قبلها والتي بعدها، ويمكن مراجعة – على سبيل المثال– وجه المناسبة بين كل صفة من صفات عباد الرحمان، ومنها الصفات التي قال الله عنها: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ}.[2]

يقول الإمام ابن باديس: (لما أثبت لهم أصول الطاعات في الآيات المتقدمة، نفى عنهم أمهات المعاصي في هذه الآية؛ تنبيهاً على أن الإيمان الكامل هو ما تثبت معه الطاعات وتنتفي المعاصي، وذلك هو غاية الامتثال للأوامر والنواهي.

وفيه تعريض بما كان عليه المشركون من الاتصاف بهذه المعاصي من دعائهم آلهتهم مع الله، وقتلهم النفس وارتكابهم فاحشة الزنا.

وقدم إثبات الطاعات على انتفاء المعاصي؛ تنبيهاً على أن من راض نفسه على الطاعة ودانت نفسه بالإخبات والانقياد للأوامر الشرعية، ضعفت منه أو زالت دواعي الشر والفساد، فانكف عن المعصية).[3]

ومن أمثلة المناسبة بين سور القرآن قوله عن المعوذات) الإخلاص، والفلق، والناس): (وأما المناسبة الخاصة بين السورتين وبين سورة الإخلاص، فهي أن سورة الإخلاص قد عرَّفت الخلق بخالقهم بما فيها من التوحيد والتنزيه والتمجيد. فإذا قرأتَ القرآن وتدبّرتَه على ترتيبه، ووجدتَ توحيد الله منبثًا في آياته وسوره، متجليًّا ذلك التجلي الباهر

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، المرجع السابق، ص. ١٧٤-١٧٥.
(٢) الفرقان: ٦٨.
(٣) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.٤٦٦.

بمعارضه وصوره، سادًّا ببراهينه على النفوس كل ثنية وكل مطلع، كانت آخر مرحلة يقطعها فكرك من مراحل التوحيد في القرآن، هذه السورة المعجزة على قصرها، فكأنها توكيد لما امتلأت به نفسك من معاني التوحيد، وكأنها وصية مودعّ مشفق بمهمّ يخشى عليك نسيانه فيعمد فيها من الكلام إلى ما قلّ ودلّ ولم يملّ.

ومِن صِدقِك في توحيدك لله في ربوبيته وإلهيته، أن تنقطع عن هذا الكون وتكون منه وكأنك لست منه، بصدق معاملتك لله وإخلاص توحيدك إياه. فأنت وقد آمنت وصدّقت وخرجت من سورة الإخلاص متشبعًا بمعانيها، ومنها معنى الصمد، تستشعر أن العالم كله عجز وقصور، وأن خيراته مكدّرة بالشرور، وأن لا ملجأ إلّا ذلك الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤًا أحد، فَتَجِيءُ المعوذتان بعد الإخلاص مبينتين لذلك الالتجاء الذي هو من تمام التوحيد).[1]

سادسا: تأكيد الجمال الفني وتعضيده بالمعنى العام

في تفسير قوله تعالى: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ}.[2] يقول: (كان لسليمان- عليه الصلاة والسلام- من الجن والإنس والطير جنود معينون معروفون يتركب منهم عسكره. يكونون متفرقين، فإذا عرض أمر جمعهم. وكان له أعوان يعرفون أولئك الجنود ويعرفون أماكنهم، فهم الذين يجمعونهم عند الحاجة إليهم. فأراد سليمان أن يسافر، فأمر أعوانه بجمع الجنود فجمعوهم له. فلما اجتمعوا تولى رؤساؤهم تنظيمهم فساروا مع سليمان في كثرة ونظام، يتولى أولئك الرؤساء تنظيمهم في سيرهم ويمنعونهم من الخروج عن النظام).[3]

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠٢، ص. 109.
(٢) النمل: ١٧.
(٣) المرجع نفسه، ج.٠٢، ص.٢٢.

سابعا: طرح الإشكالات وتقديم الأجوبة المقنعة

يقول العلامة ابن باديس عند تفسير قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[1]: (سؤال: كيف يذكر الأصل الأول «الإيمان بالله»- وهو الأصل الأول- إلاّ بما ذكر به من الذكر الضمني؟

الجواب، ذلك لأمرين:

الأول: أن هذه الأصول الثلاثة « الإيمان بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر» تذكر في أول السور، غير أن بعض السور تخصص بالحديث على بعض الأصول أكثر من غيره، ولا يذكر فيها غيره إلاّ ضمنًا كما هنا.

الثاني: أن تقرير الأصل الثاني هو تقرير للأصل الأول؛ إذ جميع دلائل النبوة، دلائل على وجود الخالق وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته.

‹الإحياء›: إيجاد الحياة في الجسم؛ ولا يكون إلاّ من الله.

و ‹الميت›: الجسم الذي يقبل الحياة ولا حياة فيه، سواء أكانت فيه وزالت، أم لم تكن فيه بعد كالجنين قبل نفخ الروح فيه.

أكدت الجملة لأن الخطاب مع منكري البعث والنشور، وأكد اسم «إنّ» بـ«نحن» ليفيد الاختصاص، فهو المحيي دون غيره.

وعبر بـ {نحيي} فعلاً مضارعاً ليفيد تجديد الإحياء واستمراره، فيشمل إحياءه للأجنة في الدنيا، وإحياءه الثاني في الأخرى. وكثيراً ما جاء في القرآن الاستدلال على الإحياء الثاني بالإحياء الأول؛ فتكون كلمة {نحيي} قد اشتملت على العقيدة وهى الإحياء الثاني، ودليلها وهو الإحياء الأول).[2]

(١) يس:١٢.

(٢) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠٢، ص.٨٣.

ثامنا: تقريب المعاني بضرب الأمثلة

بعد أن أثبت الإمام ابن باديس أنه ‹لا حجة لمن مات على كفره بما سبق من علم الله فيه› يسوق المثال الآتي: (قد يكون لرجل ولدان هو عالم بنفسيتهما، وأخلاقهما، وسيرتهما، ثم يأمرهما بأمر فيه الخير لهما، وهو يعلم- بما علم من أحدهما- أنه يمتثل، ويعلم- بما علم من الآخر- أنه يخالف، ويقول لأهل بيته: إن فلاناً سيمتثل، وإن فلانا سيخالف.

فيظهر ما قاله وما علمه في كل واحد منهما؛ فجازى الممتثل على طاعته، وجازى المخالف على عصيانه؛ فلا شك أن هذا الرجل قد أحسن إلى ولديه بما أمرهما به من خير، وفعل ما تقتضيه أبوته من النصح والإرشاد، ولا يقدح في ذلك علمه بما سيكون منهما، كما أن هذين الولدين قد نال كل واحد منهما ما سبق دون أن يكون للمخالف منهما حجة على مخالفته بما كان يعلمه منه أبوه.

لله المثل الأعلى، فقد أحاط بكل شيء علماً، فعلم من سيطيعه ومن سيعصي، ولكنه الحكم العدل، فلم يكن ليجازيهم على سابق علمه فيهم، الذي لا دخل لهم فيه، بل جعل جزاءهم بعد إقامة الحجة عليهم بما يكون من اختيارهم، ليكون جزاؤهم على ما عملوا وما قدمت أيديهم وما لهم دخل فيه بالكسب والاكتساب).[1]

تاسعا: جمع الآيات التي وردت فيها الكلمة الواحدة من حيث المبنى، مع بيان أوجه المعاني المتعدد لها .

وهذا بعد بيان المعنى الأصلي، وذلك بحسب السياق، وإذا رجعت لابن باديس وهو يتحدث عن «الذكر» تجده كيف قد جمع الآيات الواردة فيها كلمة «الذكر» كوصف لجملة من الأمور، ثم بيّن وجه وصف ذلك الأمر بالذكر:

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠٢، ص.73.

- قال تعالى: (وهذا ذكر مبارك أنزلناه)[1]، سمى الله تعالى القرآن ذكرا لأن آياته متلوة بالألسنة ومعانيه حاضرة في القلوب.

- قال تعالى: (قد أنزل الله إليكم ذكرا)[2] سمى الله تعالى نبيه ذكرا لأنه مخبر عن ربه ومبلغ للذكر، أو لأنه r يُذكر في الصلاة عليه والحديث وفيه سيره وشمائله بالأسنة والقلوب، وعبر عن إرساله بالإنزال لأن رسالته وحي من العلي الأعلى وأعظم رحمة نزلت من السماء.

- قال تعالى: (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا)[3] سمى الله تعالى الآيات الكونية المشاهدة ذكرا لأنها تحدث الذكر في القلب كما تحدثه آياته المتلوة التي تسمى أيضا ذكرا.[4]

يربط أنواع الذكر (ذكر القلب وذكر السان وذكر الجوارح) بالمعنى الأصلي وهو: حضور الشيء في القلب الحضور الثاني بعد زواله منه المسبوق بحضور متقدم).[5]

عاشرا: بيان وجه الجمع بين أمرين أو أكثر وتوجيه الترتيب

في تفسير قوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }[6] يقول في وجه الجمع بين طاعة الله والإحسان إلى الوالدين ما نصه: (الله هو الخالق، والوالدان- بوضع الله- هما السبب المباشر في التخليق.

(١) الأنبياء: ٥٠.
(٢) الطلاق: ١٠.
(٣) الكهف:١٠١.
(٤) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، المرجع السابق، ج.٠١، ص. ١٢٩-١٣٠.
(٥) المرجع نفسه، ج.٠١، ص.١٢٨-١٢٩.
(٦) الإسراء:٢٣.

والله هو المبتدئُ بالنعم عن غير عمل سابق، وهما يبتدئان بالإحسان عن غير إحسان تقدم.

والله يرحم ويلطف وهو الغني عن مخلوقاته، وهم الفقراء إليه، وهما يكنفان بالرحمة واللطف الولد، وهما في غنى عنه، وهو في افتقار إليهما.

والله يوالي إحسانه ولا يطلب الجزاء، وهما يبالغان في الإحسان دون تحصيل الجزاء.

فلهذه الحالة التي خصهما الله بها وأعانهما بالفطرة عليها، قرن ذكرهما بذكره؟ فلما أمر بعبادته أمر بالإحسان إليهما في هذه الآية، وفي قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.(١)

ولما أمر بشكره أمر بشكرهما فقال تعالى: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.(٢)

وفي هذا الجمع في القضاء والحكم بالإحسان والأمر بالشكر لهما مع الله تعالى أبلغ التأكيد وأعظم الترغيب.

ثم زاد هذا الحكم وهذا الأمر تقريراً بلفظ التوصية بها في قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا}(٣)، ليحفظ حكم الله وأمره فيهما، ولا يضيع شيء من حقوقهما، فكان حقهما بهذه الوصاية، أمانة خاصة، ووديعة من الله عظيمة عند ولدهما، وكفى بهذا داعياً إلى العناية بهذه الأمانة وحفظها وصيانتها.

وكما جاء هذا الجمع في باب الأمر في القرآن كذلك جاء في الجمع بينهما في باب النهي وكبر المعصية، في السنة: ففي الصحيح عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق

(١) النساء: ٣٦.
(٢) لقمان: ١٤.
(٣) العنكبوت: ٨.

الوالدين»[1]).[2]

وفي توجيه الترتيب أسوق المثال التالي المتعلق بتفسير قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.[3]

يقول شيخنا ابن باديس: (يأمر الله المؤمنين إذا كانوا مع رسوله r على أمر جامع ألا يفارقوا مجلسه كلهم أو بعضهم إلاّ بإذنه. وأكد هذا الأمر بما وطأ له من ذكر الإيمان بالله ورسوله، تنبيها على أنه من مقتضاهما. وبقرنه بهما، وجعله ثالثاً لها، تعظيماً لشأنه، وتنبيهاً على ملازمته لهما ممن صدق فيهما؛ حتى كان غير المستأذنين لا إيمان لهم.

وبإعادته في الجملة الثانية، ببيان أن الذين يستأذنون هم دون غيرهم الثابتون في إيمانهم، المستمرون عليه، تعريضاً بالذين لا يستأذنون وتقبيحا لحالهم بأنهم لا ثبات لهم في الإيمان، ولا استمرار منهم على العمل به، فليسوا بالمؤمنين، ولا بالذين يؤمنون.

ثم جعل الخيار لرسوله في الإذن وعدم الإذن لهم إذا استأذنوه لبعض شأنهم، تعظيماً لأمر الاجتماع، وتعظيماً للصالح العام، وتوكيداً لحق الإمام على الجماعة لحفظ الاجتماع وتتميم الأعمال. ثم أمره أن يستغفر لهم، فقد يكون العذر دون الاضطرار، وقد يكون

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط.٠١، (دار طوق النجاة «مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي»، ١٤٢٢هـ)، كتاب الشَّهَادَاتِ ، باب مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ، رقم الحديث: ٢٦٥٤، ج.٠٣، ص.١٧٢ .

(٢) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.٢١٦-٢١٧.

(٣) النور:٦٢ و٦٣.

ما فاته من بركات الاجتماع، وحسنات المشاركة فيه بالرأي والاهتمام، وتكثير السواد بسبب ذنب كان منهم في أمر غير الاجتماع، وأكد هذا الأمر بأنه الكثير المغفرة لعباده الدائم الرحمة بهم).[1]

حادي عشر: الاهتمام بالقراءات القرآنية

يقول الإمام ابن باديس عن الصفة التاسعة من صفات عباد الرحمن {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ}[2]: (من بلاغة القرآن أن تأتي مثل هذه الآيات بوجوه من الاحتمالات متناسبات غير متناقضات؛ فتكون الآية الواحدة بتلك الاحتمالات كأنها آيات: نظير مجيء الآية بقراءتين، فتكون كآيتين مثل قوله تعالى: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}.[3]

وقوله تعالى في آية الوضوء: {وَأَرْجُلَكُمْ}[4] بالنصب عطفاً على الوجه فيفيد غسل الأرجل، وتلك هي الحالة الأصيلة العامة. وبالخفض عطفاً على الرؤوس فيفيد مسح الأرجل وتلك هي حالة الرخصة عند لبس الخفاف.

فتكون هذه الآية باحتمالها مفيدة تنزههم عن شهود الباطل، وعن شهادته).[5]

المطلب الرابع: مقاصد إدراك الإعجاز البياني للقرآن الكريم

بيّن الله عز وجل في القرآن الكريم المقاصد التي تقرأ لأجلها القرآن، ومنها ما وضحه الإمام ابن باديس بقوله: (والقرآن موعظة ترقق القلوب القاسية فليقصد تليين قلبه، والقرآن شفاء لأدواء النفوس في عقائدها وأخلاقها وأعمالها؛ فليقصد الشفاء به من ذلك كله، والقرآن هدى ودلالة على كل حال ما يوصل إلى سعادة الدنيا والأخرى فليقصد

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج٠١، ص. ٣٥٧-٣٥٨.
(٢) الفرقان: ٧٢.
(٣) الحجرات: ٦.
(٤) المائدة: ٥.
(٥) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، المرجع السابق، ج.٠١، ص.٤٨٤-٤٨٥.

الاهتداء بهدايته، والقرآن رحمة من الله للمؤمنين، فليستنزل بتلاوته وتدبره الرحمة من الله تعالى بإفاضة علوم القرآن على قلبه، وبتوفيقه إلى القيام بمقتضى هدايته.

ولا يسلم تالي القرآن- لأنه غير معصوم- من ذنوب قد يصدأ لها قلبه، فليقصد بتلاوته جلاء قلبه والتوفيق للتوبة من ذنبه.)[1] وهذا قاله تفسير لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[2]، وقوله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}.[3]

والمقاصد التي أذكرها هنا تعين على تحقيق هذه المقاصد، وهي:

أولا: إعانة المتلقي على التدبر وتذوق حلاوة القرآن

قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}[4] ومما يعين على فهم وتدبر هذه الآية القول فيها بأن المخاطبين: (دعوا إلى الإيمان والتوحيد ومكارم الأخلاق، وهذه أمور مدرك حسنها بالفطرة السليمة، فهي كالماء الذي تقبل عليه الحيوانات بفطرتها، فلما أعرضوا عنها شبهوا بالإبل المقمحة عن الماء.

ثم إن هذه الأمور كما يدرك حسنها بالفطرة السليمة، تدرك باستعمال النظر فيما بين يدي الإنسان من الآيات التي يراها ويشاهدها، وما خلفه من أيام الله في الأمم التي بلغته أخبارها وأنباؤها.

فلما أعرضوا عما يرون وما قد سمعوا شبهوا بمن جعل بين سدين ملزقين ومحيطين به، فجمد في مكانه؛ فلا هو يتحرك إلى ناحية ولا هو يبصر شيئاً.

---

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ص.١٤١-١٤٢.
(٢) يونس: ٥٧.
(٣) الإسراء: ٨٢.
(٤) يس:٨ و ٩.

كل ما دعا إليه الإسلام من عقائد وأخلاق وأعمال، فهو مما تقبله الفطر السليمة، وتدركه العقول بالنظر الصحيح، فمن قابل دعوة الإسلام بالإعراض والعناد، وخالف فطرته، وعاكس عقله، كان حقيقاً بهذا العقاب الشديد من طمس البصيرة، والطبع على القلب؛ فذكر الله لنا هذه العقوبة بهذا التمثيل البليغ، الذي صورها في أبشع وأفظع صورة؛ ليحذرنا من الإعراض عن الحق والعناد له، ويخوفنا بعاقبة ذلك على أهله).[1]

ثانيا: نفي العبثية، وبيان المقصدية

الوقوف مع اللفظ في القرآن الكريم من خلال المعنى الذي ارتبطت به، وكذا السياق الذي جاء فيه، يجلي لنا بوضوح دقته كلفظ، ودقة موضعه، وحسن معناه، وجمال مبناه، ولنضرب لذلك مثالا يجلي لنا هذا المعنى، يقول ابن باديس في تفسير قول الحق جلّ في علاه {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[2]: (لما كانت السماء متلاحمة الأجزاء في العلاء، ثابتة على حالة مستمرة في هذه الدنيا على البقاء، ناسبها لفظ البناء، ولما كانت مظهر العظمة والجلال، ناسبها لفظ القوة، ولما كانت الأرض يطرأ عليها التبديل والتغيير بما ينقص البحر من أطرافها، وبما قد يتحول من سهولها وجبالها، وبما يتعاقب عليها من حرث وغراسة وخصب وجدب، ناسبها لفظ الفراش الذي يبسط ويطوى، ويبدل ويغير، ولما كانت أسباب الانتفاع بها الميسرة ضرورية للحياة عليها وكلها مهيأة، وكثير منها مشاهد، وغيره معد يتوصل إليه بالبحث والاستنباط ناسب ذكر التمهيد، ولما كانت الأزواج مكونًا بعضها من بعض ناسبها لفظ الخلق.

ولما كان النظر في الزوجين هو نظر في أساس التكوين لتلك المذكورات السابقة- وهو

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٢٠ن ص. ٧٦.
(٢) الذاريات: ٤٧ - ٤٩.

محصل للعلم الذي يحصل من النظر فيها- قرن بلفظ التذكر).[1]

ثالثا: تجلية أوجه الإعجاز البياني

ومن وسائله الاهتمام بالدقائق البلاغية، فعلى سبيل المثال عند تفسير قوله تعالى في سورة الناس {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}[2] يقول: (ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة، أنه يقدم أولاً الاسمين المتلازمين في آية، لسر من أسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام، ولا يؤخر ذلك المقام في آية أخرى، لسر آخر: فيقدم السماء على الأرض في مقام، ويؤخرها عليها في مقام آخر.

ومن هذا الباب تقديم الإنس على الجن في آية الأنعام[3]، لأن معرض الكلام في عداوتهم للأنبياء، وهي من الإنس أظهر، ودواعيها من التكذيب والإيذاء أوضح.

وفي آية «الناس» قدم الجنة على الناس، لأن الحديث عن الوسوسة، وهي من شياطين الجن أخفى وأدق، وإن كانت من شياطين الإنس أعظم وأخطر وأدهى وأمر: فشيطان الجن يستخدم شيطان الإنس للشر والإفساد، فيربى عليه ويكون شراً منه، لأنه بمثابة السلاح الذي يفتك به؛ ورب كلمة واحدة صغيرة يوحيها جني لإنسي، ويوسوس إليه بتنفيذها، فتتولد منها فتن، ويتمادى شرها من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل).[4]

رابعا: استنباط المعاني والأحكام

في وصف القرآن بالنور في قوله تعالى: ({فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا}[5] ووصف نبينا محمد r بالنور كما في قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، المرجع السابق، ج.٠٢، ص. ٩٤.
(٢) الناس: ٠٦.
(٣) الآية ١١٢: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ}.
(٤) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠٢، ص. ١٢٦.
(٥) التغابن: ٨.

لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }[1]. يستنبط ابن باديس مكانة السنة النبوية الشريفة فيقول: نستفيد من هذا:

أولاً: أن السنة النبوية والقرآن لا يتعارضان، ولهذا يُرَدُّ خبر الواحد إذا خالف القطعي من القرآن.

وثانياً: أن فقه القرآن يتوقف على فقه حياة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- وسنته، وفقه حياته- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- يتوقف على القرآن، وفقه الإسلام يتوقف على فقههما.[2]

وفي بيان أفضلية صلاة الصبح يقول: (من تخصيص صلاة الفجر بجملة التذييل المؤكدة، وما اشتملت عليه من هذه المزية، أخذ جماعة من أهل العلم أفضليتها على غيرها.

فإن قلت: إن صلاة العصر أيضا لها من هذه المزية، كما تقدم في حديث مالك.[3]

قلت: إن ثبوت هذه المزية للفجر قطعي بنص القرآن، ومتفق عليه في روايات الحديث بخلاف العصر، فقد جاء في بعض الروايات دون بعض، وتبقى الفجر ممتازة بتخصيصها

(١) المائدة: ١٥ و ١٦.

(٢) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، المرجع السابق، ج.٠١، ص.١٦٤.

(٣) نص الحديث: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ». مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط.٠١، (أبو ظبي - الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، رقم الحديث: ٨٢، ج. ٠٢، ص. ٢٣٨. البخاري، صحيح البخاري، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلاَةِ، باب فضل صلاة العصر، رقم الحديث: ٥٥٥، ج.٠١، ص.١١٥.

بالتأكيد في نص الكتاب وكفى هذا مرجحا لها).[1]

خامسا: المعنى التربوي

كثيرا ما يدرج ابن باديس في تفسيره هذه العبارة «أدب واقتداء»، والتي ينتظم حولها ما يستنبطه من المعاني التي ترمز إليها الكلمات أو المعنى العام للآية، وهو بذلك يريد الفقه التربوي المأخوذ من القرآن الكريم.

كان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن، (فكان تذكيره كله بآيات القرآن يتلوها ويبينها بالبيان القولي والبيان العملي متمثلا في ذلك كله أمر ربه تعالى بقوله: {فذكر بالقرآن من يخاف وعيد}[2]).[3]

وفي نداء القرآن على اليهود والنصارى بـ ‹أهل الكتاب› في قوله تعالى: ({يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[4]. يقول: (هذا هو أدب الإسلام في دعوة غير أهله، ليعلمنا كيف ينبغي أن نختار عند الدعوة لأحد أحسن ما يدعى به، وكيف ننتقي ما يناسب ما نريد دعوته إليه: فدعاء الشخص بما يحب مما يلفته إليك، ويفتح لك سمعه وقلبه، ودعاؤه بما يكره يكون أول حائل يبعد بينك وبينه، وإذا كان هذا الأدب عاماً في كل تداع وتخاطب، فأحق الناس بمراعاته هم الدعاة إلى الله، والمبينون لدينه سواء دعوا المسلمين أو غير المسلمين).[5]

---

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.٢٩٩.
(٢) ق:٤٥.
(٣) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، المرجع السابق، ج.٠١، ص.١٢٦.
(٤) المائدة: ١٥ و ١٦.
(٥) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.١٦١.

سادسا: دفع الاعتراضات ورد الشبهات

يقول ابن باديس: (قال أناس: إن أرض الدنيا كما يستولي عليها الصالحون، يستولي عليها غيرهم. والأرض التي لا يرثها إلاّ الصالحون هي أرض الجنة؛ فيجب تأويل الآية بها. والجواب:

أن هذا التأويل إنما يحتاج إليه أن لو كانت الآية هكذا: "إن الأرض لا يرثها إلاّ عبادي الصالحون" بطريق الحصر فيهم.

أما لما كانت الآية لا حصر فيها فلا حاجة إلى هذا التأويل، بل في لفظ الإرث وربطه بوصف الصلاح دلالة على أنها كانت لغيرهم فانتقلت إليهم، وأنها تزول مع زوال وصف الصلاح. وقد جاء التنبيه على أن الأرض يرثها الصالحون وغيرهم، في قوله تعالى: {إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.[1]

فيرثها الصالحون نعمة، ويرثها غيرهم فتنة ونقمة، كل ذلك حسب مشيئة الحكيم الخبير..[2]

سابعا: تصحيح المفاهيم

من الأمثلة التي أسوقها هنا وهي تعبر بصراحة عن هذا المعنى الذي عنونت له بـ (تصحيح المفاهيم) قوله: (كان- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لا يفتأ مذكراً للمؤمنين والكافرين والله يهدي من يشاء ويوفق من يريد. وقد أمر بالتذكير مطلقاً في قوله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[3].

وكانت سيرته العملية في التذكير هي العمل بهذا الإطلاق، فما كان يخص قوما دون

(١) الأعراف: ١٢٨.
(٢) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، المرجع السابق، ج.٠١، ص.٣٣٣.
(٣) الغاشية: ٢١.

قوم في الدعوة والتذكير، فكانت هاته السنة العملية دليلا على أن ما جاء على صورة التقييد في بعض الآيات ليس المراد منه التقييد، ومن ذلك قوله تعالى(فذكر إن نفعت الذكرى)[1] فالشرط الصوري هو للاستبعاد، أي استبعاد نفع الذكر فيهم، ولا يزال من أساليب العربية لسان التخاطب الدارج بيننا قول الناس لبعضهم بعضا: «كلمه في كذا إذا نفع فيه الكلام» استبعاد لنفعه فيه، ومن ذلك قوله تعالى: (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)[2] فليس ذكر المفعول للتقييد وإنما هو للتنبيه على أنه هو الذي ينتفع بالتذكير نظير قوله تعالى: (هدى للمتقين)[3]).[4]

ثامنا: التعليل وإبراز الحكمة والمصلحة

يقول ابن بيه: (إن البحث عن المقاصد مطلب شرعي، فهم من القرآن الكريم في سياقين: أولهما صريح، وثانيهما بالتلميح من خلال تضافر نصوص التعليل في مقامات الإيجاب والتحريم والتحليل، فالسياق الأول: دعوة إلى التدبر والتفكر في آيات الكون وآيات الوحي، وهي دعوة إلى اكتناه أسرار الخلق وحكم الأمر {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}[5]أما السياق الثاني فهو تعليل الأحكام، وإبراز الحكمة، والمصلحة في نصوص القرآن الكريم، وهو تنبيه على المقاصد، وتربيه للأمة على البحث عنها).[6]

في تفسير قول الحق جلّ في علاه: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ

(١) الأعلى: ٩.
(٢) ق: ٤٥.
(٣) البقرة ٢.
(٤) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ص.١٢٧.
(٥) الـأعراف: ٥٤.
(٦) ابن بيه، مشاهد من المقاصد، ط.٠٢، (الرياض: دار وجوه، ١٤٣٣ه- ٢٠١٢م)، ص.٠٦.

ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}.[1] يقول ابن باديس:

(الأمر بالإحسان إليهما عام في جميع الأحوال، وخصصت حالة بلوغ أحدهما أو كليهما الكبر بالذكر، لأنها حالة الضعف وشدة الحاجة، ومظنة الملل والضجر منهما، وضيق الصدر من تصرفاتهما. فهما في هذه الحالة قد عادا في نهايتهما إلى ما كان ولدهما عليه في بدايته. وليس عنده من فطرة المحبة مثل ما عندهما. فكان بأشد الحاجة إلى التذكير بما عليه من تمام العناية بهما، ومزيد الرعاية لهما، وشدة التوقي والتحفظ من كل ما يمس بسوء جانبهما في هاته الحال على الخصوص. وإن كان ذلك واجبا عليه في كل حال على العموم.

وطول بقائهما عنده في كنفه وثقل مؤونتهما عليه، وما يكون من ضرورات الكبر والمرض مما يستقذره في بيته، كل هذا قد يؤديه إلى الضجر والتبرم، فيقول ما يدل على ضجره وتبرمه.

فنهي عن التفوه بأقل كلمة تدل على ذلك وهي كلمة «أف» بقوله تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}[2]، فأحرى وأولى ما فوقها).[3]

تاسعا: استخلاص القواعد والأسس والنظريات

استخلاص القواعد والأسس والنظريات تساهم في بناء الفرد والمجتمع والأمة، ففي تفسير قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}[4] يقول ابن باديس: (الأمم كالأفراد، تمر عليها ثلاثة أطوار: طور الشباب، وطور الكهولة، وطور الهرم.

(١) الإسراء:٢٣ و٢٤.
(٢) الإسراء: ٢٣.
(٣) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.٢١٨.
(٤) الإسراء: ٥٨.

فيشمل الطور الأول: نشأتها إلى استجماعها قوتها ونشاطها، مستعدة للكفاح والتقدم في ميدان الحياة.

ويشمل الطور الثاني: ابتداء أخذها في التقدم والانتشار، وسعة النفوذ، وقوة السلطان إلى استكمالها قوتها، وبلوغها غاية ما كان لها أن تبلغه من ذلك؛ بما كان فيها من مواهب، وما كان لها من استعداد، ما لديها من أسباب.

ويشمل الطور الثالث: ابتداءها في التقهقر والضعف والانحلال، إلى أن يحل بها الفناء والاضمحلال، إما بانقراضها من عالم الوجود، وإما باندراسها في عالم السيادة والاستقلال.

وما من أمة إلاّ ويجري عليها هذا القانون العام، وإن اختلفت أطوارها في الطول والقصر، كما تختلف الأعمار).[1]

(١) عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج.٠١، ص.٢٨٤.

الخاتمة

رسم لنا الإمام ابن باديس -رحمه الله- في تفسيره المنهج الذي به نتذوق جمال اللفظ القرآني، وندرك إعجازه، ومن خلال هذا البحث أسجل النتائج الأتية:

١. في تأليف تفسير من التفاسير لابد من الاعتناء بالوجه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيق فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام، والاهتمام بالتحقيقات النحوية واللغوية، وتوجيه القراءات، والاعتناء بالبحوث في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان.

٢. من الخدمات الجليلة التي نقدمها في تفسير القرآن الكريم: أن يتولى أحد العلماء أو بعضهم تأليف تفسير ينحون فيه طريقة ومنهج ابن باديس في تفسيره.

٣. وظف ابن باديس الجمال الفني للكلمة القرآنية وغيرها من معارفه - الشرعية والنفسية والسياسية والاجتماعية- للتطبيق العملي الإصلاحي.

٤. قراءة القرآن بتمعن وتدبر تكون بالوقوف مع الكلمة من خلال الوصف الذي ارتبطت به، وكذا السياق الواردة فيه، وهذا يجلي لنا بوضوح أن دقة اللفظ، ودقة موضعه، وحسن مبناه، وجمال معناه، مما يعين على تحقيق مقاصد تلاوة القرآن.

٥. وسائل إدراك الإعجاز البياني للقرآن تكون بـ: بيان سبب النزول، ومعاني المفردات، والتراكيب، وبيان المناسبة، وتأكيد الجمال الفني بالمعنى العام، وطرح الإشكالات وتقديم الأجوبة المقنعة، وتقريب المعاني بضرب الأمثلة، وجمع الآيات التي وردت فيها الكلمة الواحدة من حيث المبنى مع بيان أوجه المعاني المتعدد لها، وبيان أوجه الجمع بين أمرين أو أكثر وتوجيه الترتيب، وبيان أوجه التقديم والتأخير، وربط النكت البلاغية بالحقائق النفسية والاجتماعية والعمران، والاهتمام بالقراءات القرآنية.

قائمة المصادر والمراجع

١. باي زكوب عبد العالي، تفسير عبد الحميد بن باديس: منهجه وخصائصه، مجلة الإسلام في آسيا- الجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا، ، العدد:٠٢، ديسمبر ٢٠١١م، المجلد. ٠٨.

٢. البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط.٠١، (دار طوق النجاة «مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي»، ١٤٢٢هـ).

٣. عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر - مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، ط.٠٢، (بيروت- لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م).

٤. عبد الله بن بيه، مشاهد من المقاصد، ط.٠٢، (الرياض: دار وجوه، ١٤٣٣ه-٢٠١٢م).

٥. عمار طالبي، الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، ط. خاصة، (

٦. الجزائر: دار المتعلم، ٢٠١٥م).

٧. مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط.٠١، (أبو ظبي - الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).

٨. محمد الدراجي، المنهج النقدي في التفسير عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، موقع ابن باديس: https: / /binbadis.net.

٩. محمد الصالح بن عتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ط.د، (الجزائر: منشورات دحلب، ت.د).

١٠. محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط.٠١، (دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م).